

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ ثمن العدد الواحد  
مكتب الاعلانات  
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة  
تليفون ٤٣٠١٣

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها السئول  
محمد الزيات  
الإدارة  
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦  
الحي الخضراء - القاهرة  
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

السنة الخامسة

« القاهرة في يوم الاثنين ٣ شوال سنة ١٣٥٦ - ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٧ »

العدد ٢٣١

نورة على الزيات

## شقيقة هدرت ثم قرت

أخي عزام

قرأت مقالك البليغ في عدد الرسالة السابق ، وكان محمود  
خصمك حاضراً فكفاني ما كلفتنى من إبلاغه . وهو في هذه  
الساعة لين الحاشية ، لأنه قام منذ هنيهة عن مائدة الإفطار  
الغنية الشهية ، ممتلئ البطن من خير الله ، وطيب اللسان بحمد الله ،  
لا يذكر أن في العالم ضيق رزق ، ولا أن في الناس سوء خلق .  
ولذلك قال حين ذكرته برأيه وخبرته برأيك ما قال الإمام على  
رضي الله عنه : تلك شقيقة هدرت ثم قرت ! فكانت خاله  
التي حالت بين الأمس واليوم دليلاً جديداً لعلماء الاجتماع الذين  
يردون ثورات الشعوب المختلفة إلى العوامل الاقتصادية المحض  
من الحرمان والجوع . والواقع الذي لا يرضه زخرف القول أن  
الناس يدورون بمواطنهم وأخلاقهم حول مادة العيش ، فإن أعطوا  
منها رضوا ، وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون  
على أن مجلسنا كان حافلاً بغير محمود من رجال العلم والدين  
والأدب وكلهم كانوا له وعليك . وليس ذهابهم إلى رأى خصمك

## الفهرس

صفحة	
١٩٦١	شقيقة هدرت ثم قرت : أحمد حسن الزيات ...
١٩٦٣	بين القاهرة واستنبول . : الدكتور عبد الوهاب عزام ...
١٩٦٥	مصر وإيطاليا ... : بقلم باحث دبلوماسي كبير ...
١٩٦٧	مكين بن الخليل وليوته ... : ...
١٩٦٩	إلى أخي النازح إلى باريس ! : الأستاذ على الطنطاوي ...
١٩٧٢	أطراف من تاريخ اللباس عند الملحن للعلامة المستشرق دوزي . . . : الأديب محمد طه الحاجري ...
١٩٧٦	ختانجبال للشاعر ألفيلوف طاغور . . . : الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٩٧٨	أبو إسحاق الصابي ... : الأستاذ عبد العظيم على قناوي
١٩٨١	مصطفى صادق الرافعي . : الأستاذ محمد سعيد الريان ...
١٩٨٤	فلسفة التزية ... : الأستاذ محمد حسن ظاظا ...
١٩٨٦	قل الأديب .. : الأستاذ محمد إسحاق الناشيبي
١٩٨٨	نكبة السيول ( قصيدة ) : السيد احمد عبيد ...
١٩٨٩	لوحة الشاعر ( قصيدة ) : الرحوم التيجاني يوسف بشير
١٩٨٩	عودتنا الثانية ( قصيدة ) : الأستاذ خليل هندواي ...
١٩٩٠	الزيتك كمنصر أساسي لتقوية النبات ... : الأستاذ عبد الحليم منتصر ...
١٩٩٢	نهرام راهب ( قصة ) .. : الأستاذ درويش خبشة ...
١٩٩٧	إلى صحف النظر البقيق — ذكرى وفاة أبي الفرج الأصبهاني
١٩٩٨	وفاة العلامة بوز الهندى — مذكرة في نصف قرن ...
١٩٩٩	الأدب الفرنسية وجائزة نوبل — جائزة نوبل للسلام — مواطن الجواد قبل التاريخ ...
٢٠٠٠	بريطانيا العظمى وفلسطين ...

فعل فيه ما لا يراى، تغلب العصر وتطور المجتمع . فأما الوسيلة الأولى فقد سجل الماضى ودلل الحاضر على أنها خيال نبيل لا يقع فى الإمكان ، وحلم جميل لا تقوم عليه بقطة . وتعليل ذلك لا يعزب عنك فلا حاجة إلى تقريره . وأما الوسيلة الأخرى فهى على ما يرون مظنة التوفيق فى الإصلاح الجديد

ما معنى أن يظل التواضع والقناعة والزهد والمداراة والتوكل على إطلاقها فضائل وأنت ترى بين الواقع أن المتواضع موضوع والقانع مهمل والزاهد محروم والمدارى مستذل والتوكل عاجز ؟ أليس صلف الانجليزى أبلغ فى العزة ، وطمع الفرنسى أليق بالحياة ، وطموح الايطالى أخلق بالرجولة ، وصراحة الألماني أدعى إلى الهيبة ، واستقلال الأمريكى أضن للفوز ؟ ما معنى أن يظل الربا فى عصر الاقتصاد رذيلة وقد اختلف اليوم فى معناه وصرماه عن ربا (شيلوك) وأنت تعلم أن الغرب لم يستعبد الشرق إلا عن طريق بنوكه . فقد كانت تأخذ القناطير المقنطرة من أموال المسلمين بغير ربا لتقرضها إخوانهم المساكين بالربا الفاحش . ولو أنهم أخذوا رباها وأنفقوه فى وجوه الإصلاح والبر لما بقى على أرضهم أجنبي ، ولما ظل تحت سماهم فقير . ولا أريد أن أعرض لغير الربا من الرذائل فلا نزال فى حاجة إلى التقية والمصانعة . وإذا سلمنا أن مقياس الفضائل والرذائل هو النفع والضرر ، فما كان مؤدياً إلى منفعة سمي فضيلة ، وما كان مؤدياً إلى مضرة سمي رذيلة ، سهل قياس الأخلاق على هذا الأساس ، وأمكن بعد ذلك الاتفاق على نتيجة هذا القياس

\*\*\*

ذلك يا عزام قولهم بأفواههم يريدون أن يصل إليك عن طريق الرسالة . أما محمود فقد ظل صامتاً طول الحديث كأنه ليس منه فى قال ولا فى قيل . ولا أدرى إذا ما خلا جوفه من طعام رمضان الدسم المرى . أيعود إلى جدالك ، أم يكتفى بتعليق أصحابه على مقالك . وأما أنا فلا أزال أهيب بدهاقنة الدين وفلاسفة الأخلاق أن تتدخل جماعتهم فى سوق الفضائل معدلة أو هادية ، كما تتدخل الحكومة فى سوق الأقطان مشترياً أو حامياً

محمد الزباني

انصرافاً عما قررت من حميد الأثر لأخلاقنا المقدسة فى أفة الناس وسعادة النفس ، فإن ذلك موضع اتفاق لا يشذ عنه إلا ميت الضمير أو مريض العقل . إنما كان الجدل أن الأخلاق الفاضلة لا تصلح أن تكون عدة النجاح إن لم تكن عدة الفشل . والنجاح فى جهاد العيش لا يدل على تمام معناه إذا قصدنا به الكفاف من ميسور الرزق ، يصيبه الصالح والطالح ، ويقنصه البازى والرخم . فإذا ضربت له مثلاً نجاح الصانع الصادق والتاجر الأمين والمزارع الوفى والعامل القانع ، كانوا أحرى أن يتفكروا بقداسة هذه الأخلاق إذا كان قصارى أمرها هذا النجاح الحقيقى وهى الدستور الأعلى لبلوغ السموات وامتلاك الأرض . فإن هؤلاء الطيبين الأخيار الذين وصفتهم بالقناعة وخصصتهم بالرضى لن يستطيعوا أن يكونوا يوماً من رجال المال والأعمال كصيدناوى والبدراوى وعبود . أما حين تقصد النجاح بمناه الأثم فإنهم يرونك تنزع إلى مقالة محمود وتعلل بمنطقك السلم فثل التقي الأبي الحر بأنه ( لا يرى إلى الجاه والمال إلا طريقاً واحدة هى الطريق التى يسنها الحق والشرف والأباء والرومة ، وأن أمام الناس والأذلاء والأديان طرقاً شتى من التلصص والكذب والتزوير والخداع والملق والذلة والشرة والظلم والقسوة والآثمة وهلم جرا ، وأن من الأحرار من يخفق فى عمله حين يلزم نفسه هذه الطريق الواحدة ، ويقصرها على هذه الحججة الواضحة ، وأن من العبيد عبيد المطامع والأهواء ومرضى النفوس والأخلاق من يظفرون فى هذه السبل بما يريدون ، ويبلغون الغاية التى يقصدون )<sup>(١)</sup> وما دام جوهر الرأى واحداً فالنسبيل القاصدة إذن أن نطلب لهذه الحال بما يؤتم بين طموح الناس وكرامة الأخلاق وسلامة المجتمع . وائس هناك إلا وسيلة من وسيلتين : إما أن نصد الناس جميعاً عن هذه الطرق المتعددة ، ونقصرهم على هذه الطريق الواحدة . بقوة الأديان والساطان والترتية ، وذلك ما عناه الرسول (ص) بقوله : « عليكم بالجدادة ودعوا البنيات<sup>(٢)</sup> » ؛ وإما أن نعيد النظر فى قانون الأخلاق

(١) من مقال الأستاذ فى العدد الماضى

(٢) الجادة وسط الطريق والبنيات ، الطرق الضيقة التى تتعصب من الجادة

مصر ، وتسمى في الشام باسمها الفرنسي « أوتومتريس » أخذت مكاني بها وانطلقت سريمة تطوى ما بين حصص وحلب ، والطريق هنا أكثر ماء وشجراً وزرعاً . وفي الطريق لاحت حماة في زينات من شجرها ومائها ، ونفحات نواعيرها مثورة في السهل تدور بالماء والماء بها يدور لانفتقها رأ ولا ليلاً وتذكرت قول القائل :

ناعورة مذعورة للين حبرى سائرة

الماء فوق كنفها وهي عليه دائرة

وتذكرت أني حين قرأت هذين البيتين في المدرسة ظننت الناعورة هي الساقية بلسان أهل مصر ، ثم عرفت فرق ما بينهما حين ذهبت إلى الشام أول مرة . ومن رأى نواعير الغيوم فقد رأى صورة صيفية من نواعير الشام المائلة في الفضاء على نهر العاصي عالية رائمة

وبلشنا حلب بعد الساعة الثامنة من المساء فقصدت إلى فندق البارون . اضطررت إليه ، على نفرتي من هذه الأسماء الأجنبية في البلاد العربية ، أني أنزلت به مرة ، ولم أعرف من فنادق حلب غيره . وقضيت به بقية الليل . وأصبحت مبكراً إلى القطار قطار الشرق السريع . لم أر في حلب شيئاً ولم ألاق بها صديقاً . وسأعود إلى حديث حلب وحصص في رجوعي إلى الشام إن شاء الله وجاء القطار الفخم قد كتب عليه بالفرنسية والتركية ذات الحروف اللاتينية : « قطار الشرق السريع » وسألت أحد عمال القطار عن عربات النوم فقال لصاحب له بالتركية : « دلّه عليها » فقلت : هذا أول السجمة وطلائع القرية

أخذت مكاني بالقطار موطناً النفس على السفر ستاً وثلاثين ساعة ، ورفيق فكري وخيالي ودويوان البحري . سار القطار والساعة سبع من الصباح ، وكان شريك في القصور انكليزيا ذاهباً من العراق إلى بلده في إجازة قصيرة ، ولكنني وجدت عن ملازمته ميلاً ومندوحة في مقصورة أخرى خالية خلوت فيها بصاحبي البحري . وسأحدث الفارسي حديثه بعد ؛ على أني لم أذم من الانكليزي الشيخ حجة ، وكنت ألقاه حيناً فحيناً فتحدثت وتفككت ، وكنت أجدّه جالساً وبجانبه عدة السفر من البيبة والسجائر والكتب . ولست أنسى رثائي له حيناً أضلّ منظاره فاضطرب حيناً يبحث عنه ، ثم جلس كئيباً يقول : إنني لا أستطيع القراءة بدونه ، وكيف أقطع الطريق إلى لندن ببرق قرامه ؟ إنه منظار عمين ، إنه يلائم عيني ؛ ثم يهيج فيتهم خادم القطار بالسرقة ؛ ويأس ، فأعيد الأمل في نفسه ، فيعود يبحث عنها

## بين القاهرة واستنبول

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

من دمشق إلى القسطنطينية

باصديقي الزيات :

لعل رسالتى التي حدثتك فيها بطرف من أحداث دمشق قد بلغتك ، وهذه رسالة أخرى أطرفك فيها ببعض ماوعت النفس من مشاهد الطريق بين دمشق والقسطنطينية . وأرجو أن أوصل الرسائل من بعد :

ترددت برهة كيف آخذ طريق من دار الأمويين إلى دار البيزنطيين . أركب إليها البحر من بيروت وأرجع من طريق البر ، أم أخترق اليبس إلى غابتي ؟ وكنت ركبت السفينة بين الاسكندرية والقسطنطينية مرتين قبلاً ، فقلت لنفسي : ماذا تفيد من رؤية ما رأيت ، وحافظ الشيرازي يقول :

من جرب الجرب حلت به الندامة

وماذا تجدى عليك رؤية الدمام صباح مساء ؟ لجة واحدة وأمواج متشابهة ، كأنها ساعات الزمان في بحر العمر ! صح العزم على سفر البر ، فخرجت من دمشق بعد ظهر الثلاثاء ١٩ جمادى الأولى ( ٢٧ تموز ) في سيارة أعدتها شركة السكك الحديدية لإبلاغ المسافرين حصص ليركبوا منها سكة الحديد إلى حلب . وقد انبغيت برفقة ليس بيني وبينهم سبب فأرحت لساني وأذني ، وسرحت طرفي في الفضاء ، وفكرى في مسارح لا تمد بين الماضي والحاضر ، والقريب والبعيد . وكان للسيارة سواق ذكرنا بقول القائل : « قد لغتها الليل بسواق حطم » فانطلق بنا لا يألو إسراراً حتى يكاد الماء في جوف السيارة يشتعل ، فيقف ربنا يفتأ الماء ، والطريق أكثرها صحراء جرداء تسارها جبال وتلال ، وتربها بين الحين والحين قرى ومدن ومشاجر ومياه ، ولا سيما قرب حصص . ولم تقف على الطريق إلا في النيك لبثنا به قليلاً

هذه حصص بعد سبع سنين ولات حين تلبث . إن الوقت لا يمهلك حتى لزيارة خالد بن الوليد فاصبر حتى تعود أدرجك من هذه الطريق فتقضي حق العين والفؤاد من هذه المشاهد . بعد قليل جاءت من طرابلس عمربة كمرية ديزل المعروفة في

وأبحث معه . وجاء الخادم يقول : لعلها في حقيقتك . ففتح الحقيبة منفضاً وأخرج ما فيها من ورق وقال للخادم بالانكليزية - وهو عالم أنه لا يعرف منها كلمة - : أنظروا ! أتجدها هنا ؟ أنت على يقين أنها ليست هنا ؟ أم مطمئن أنت إلى أنها ليست هنا ؟ ثم رجعت إليه بعد حين فإذا هو مهتلل الوجه مسرور ، فلما رأني وثب يربني كيف أنزلت منظاره وراء الباب وكيف وجده ، فشاركته السرور وأعدنا الحديث عنه صاحكين بعد أن أطلنا الحديث عنه آسفين ...

وبعد ساعتين من حلب دخلنا إقليماً جليلاً مشجراً تخلل الغطار فيه أنفاقاً كثيرة متعاقبة على سفوح الجبال حتى بلغنا ميدان أقبس على الحدود بين سورية وتركيا ، والساعة تسع وخمسون دقيقة ، فوقف الغطار زهاء نصف ساعة . وجاء موظف تركي فسأل : من أين ؟ قلت : من مصر . قال : إلى أين ؟ قلت : استانبول . قال : أمك أشياء للجمرك ؟ قلت : لا . قال : كم معك من النقود التركية ؟ قلت : قليل لا يتجاوز كذا . قال : مع السلامة وبلغنا ، والساعة ثلاث ونصف ، محطة اسمها مصيص . قلت لنفسى : هذه ولا ريب المصيصة التي كانت نقرأ بين البلاد الإسلامية وبلاد الروم زمناً طويلاً .. هنا نهر جيحان ، وهنا مغازي سيف الدولة ؛ وفي هذا الإقليم وما يجاوره نظم المتنبي ما نظم من قصائده . أليس يقول أبو الطيب لسيف الدولة :

سريت إلى جيحان من أرض آمد

ثلاثاً لقد أدناك ركض وأبعدا

ومن قبل قال عدى بن الزقاع العاملي :

قلقت لها كيف اهتديت ودوتنا دُلوك وأشرف الجبال القواهر  
وجيخانُ جيخانُ الملوك وآلس

وحزن خزازي والشعوب القواسر

أجل وهنا أطراف المواسم التي يفيض بذكرها التاريخ والشعر .

وسرنا بعد المصيصة ثلاثين كيلاً شطر التراب فاتح السهل وانتشرت الخضراء ووافينا أطنة والساعة أربع . ندع حديث أطنة وما يليها إلى العودة ، ونسير إلى الشمال زهاء ساعة فنوافج جبال طوروس ، وما أعظمها منظراً جميلاً رائماً هائلاً : سفوح مخضرة بصعد فيها الطرف حتى يبلغ قلباً شاهقة تكاد العين تقصر

دونها ، قم متنافسة متسامية إذا صعد البصر إلى إحداها انزلت على السفح ليرق في سفح آخر إلى قمة أخرى ، وإذا أسف النظر إلى الحضيض فهناك الأودية العميقة السحيقة يهول الناظر عمقها ويروقه بين الحين والحين مياه تجري بسرعة مزبدة متعرجة كأنها الأرقام راعها الغطار فانسابت إلى مجارها . وتتوالى مرأني طوروس في جمالها وجلالها واختلاف ألوانها وارتفاعها واستفالتها وما يشغل العين والذكر من صورها ، والغطار على السفح موف على هذه الأودية الهائلة يصعد متمملاً وينهر أحياناً فيقف زاحراً زافراً لا يقوى على الرتق . فاذا أعد العدة من مائه وناره وبخاره عزم فصعد جاهداً مجهوداً . وبعد نصف ساعة على هذه السفوح تعاقبت أنفاق لبث الغطار فيها نحو عشرين دقيقة كلما بشرت الضوء بانتهاء أحدها أقبل الآخر في ظلامه يلتمس الغطار

ومن بدائع الجناس أو المقابلة في هذا الجمال البديع أذواد من الإبل في أودية طوروس ، لم تذهب بجمالها وروائها مناظر الجبال المظيمة ؛ وأما سرب المزمى الذي رأيته هناك فلا أدري من أى أنواع البديع مرآه هناك

وتوات ذِكْرُ الآل والأحباب فاذا لسانى بترنم بهذه الآيات :  
ذكرتك إذ طوروس في الأوح مُصِيد

يظلُّ بأهداب السحاب يُعَمِّم  
يطير بي الامحباب بين سفوحه وقائه والقلب فيه مقَمِّم  
ويفزع من ودائه ككل ناظر ويختار فيه الطرف كيف ييسم  
جمال تروود الدين بين رياضه عليه جلال بالهامة معمم  
فأيقنت أن ذكراك أروع مشهداً

وأجل من طوروس عندي وأعظم  
واتتهى بنا الإصعاد إلى مكان اسمه أولوقشله وهو أعلى موضع  
في طريق طوروس ؛ وبمده بقليل تلتقى الطريقان : الطريق الآتية  
من أنقرة ، والآتية من قونية

وجن الليل وبات الغطار يسرى فأصبحنا عند أنقرة والسلعة  
سبع من الصباح : وأستاذك يا صديقي أن أطوى المسافة بين أنقرة  
واستنبول والحديث عنها إلى العودة فقد كان نصيبي من هذه الديار  
في عودتي أوفر ، وأنسى بها أطول ، ثم أخشى أن عمل الحديث  
الطويل والرسالة المسهبة . فسلام عليك إلى أن أكتب إليك

عبد الرهاب عزام

استنبول ٣٠ تموز

## في التاريخ السياسي

## مصر وإيطاليا

## عبر الماضي دلائل الحاضر

بقلم بامت ديبلوماسي كبير

—&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;—

التي يشوب علائق إيطاليا وبريطانيا ، وما تبديه الفاشستية الإيطالية من بوادر التحفز والطموح ، وما تقوم به من الأهبات العسكرية في جزيرة بانتلاريا الواقعة بين تونس وصقلية ، وفي جزيرة رودس ، وما تحشده من القوات الجرارة في طرابلس على مقربة من الحدود المصرية : كل أوائك يجب أن يلفت الأنظار ، ويشير الرب ، ويقضى على أوائك الذين تمنهم هذه الحالة أكثر من سوامم بالتقيظ والحذر والاستعداد

\*\*\*

ولا ريب أن مصر في مقدمة الدول التي يجب أن تعنى بهذه التطورات ؛ بل هنالك ما يدل على أنها ليست بعيدة عنها ، وأنها لا تستطيع أن تظمن إليها ؛ وليس ذلك فقط لأن الحوادث قد جمعت بين مصر وبريطانيا العظمى ، ووثقت بينهما في جبهة صداقة وتحالف دائمين ، ولأن الفاشستية الإيطالية في خصومتها لبريطانيا العظمى لا بد أن تقصد إلى خصومة مصر في نفس الوقت باعتبارها حارسة لشريان من أهم شرايين الإمبراطورية البريطانية : تقول ليس ذلك فقط ، بل كذلك لأن الفاشستية الإيطالية ليست بعيدة عن التفكير في مصر لئلا

إن الفاشستية الإيطالية تضطرم اليوم بأعظم الأحلام الإمبراطورية ، وترتد يصرها إلى الإمبراطورية الرومانية ؛ وليست مصر في نظرها إلا كطرابلس ولاية رومانية سابقة . وما زلنا نذكر إشارة السنيور موسوليني في إحدى خطبه أيام الحرب الحبشية إلى مصر وقوله إنها كانت أمراء الللال رومة ، والفاشستية تنو في حملها الإمبراطورية إلى مصر ، ولا سيما بعد استيلائها على الحبشة . وقد دلت على ذلك في مواطن عديدة ومناسبات كثيرة وهي تحاول منذ أعوام أن تقوى نفوذها ودعايتها في مصر بمختلف الوسائل ؛ وسواء أكانت الفاشستية تنو إلى مصر من خلال خصومتها لانكلترا ، أو كانت تقصد إليها بالذات كحل استثماري رائع يمكن تحقيقه ، فإن الذي لا ريب فيه هو أن مصر تواجه اليوم مرحلة من أدق مراحل تاريخها

ولقد توالى من خلال هذا الفلق الشامل تصريحات المقامات المشولة في رومة بأن إيطاليا الفاشستية لاتضمهر شرألمصر ولا يمكن أن تفكر في الاعتداء عليها ، وأنها بالكس تشمر نحوها بأكرم عواطف الصداقة والود ؛ وأما الجيوش الجرارة التي تحشد

لا كشفت إيطاليا الفاشستية في أوائل سنة ١٩٣٥ عن نيأها الاستعمارية نحو الحبشة توجس أولئك الذين يشفقون على حرياتهم وحرية الشعوب الآمة شرا ، واستشعروا الخطر الاستعماري جأئما وراء نأ كيدات رومة بأنها لا تبني من وراء أهباتها العسكرية سوى الدفاع عن أملاكها الأفريقية . ولم تمض أشهر قلائل حتى صدق الظن ووثبت إيطاليا بالحبشة وثبتها المعروفة ، واستشهدت ضخمة جديدة من ضخايا الاستثمار

وكان لهذه المسألة الاستعمارية في مصر وقع خاص ؛ ولم يكن ذلك فقط لأن مصر ترتبط مع الحبشة بروابط تاريخية قديمة ، ولها في الحبشة نفوذ ديني خاص بواسطة كنيسها القبطية ، ومنابع نيلها تقع في الحبشة ، ولكن لأن مصر شمعت على الأخص بأن خطراً استثمارياً جديداً قد استقر على مقربة منها ومن سودانها ونيلها ، وأن الفاشستية الطموحة التوثبة قد أصبحت تطوق وادي النيل من ناحيته ، وأن استشهاد الحبشة على هذه الصورة المروعة إنما هو عبء يجب أن يكون لها بالغ الأثر

وقد كانت المعاهدة المصرية الانكليزية التي عقدت في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ نتيجة محتومة لهذه المسألة ؛ ولم يكن في وسع مصر وبريطانيا العظمى أن يتجاهلا أهمية ذلك التطور الخطير في أحوال وادي النيل ؛ ولم يكن في وسعهما أن يمضيا بعد في نزاع طال أمده ، وأن يغفلا بذلك عن الخطر الذي تواجهانه معاً ؛ ومن ثم كان عقد المعاهدة المصرية الانكليزية عملاً حكيماً من الجانبين ، وكانت ضرورة أمثلها الظروف والحوادث

والآن تبدو أهمية التحالف بين مصر وبريطانيا العظمى ؛ فتطور الحوادث في البحر الأبيض المتوسط ، وحالة التوتر التي تسود علائق الدول الفاشستية والدول الديمقراطية ، والكدر

الألمانية النموية التي غدت المحالفة الثلاثية من ذلك الحين ( سنة ١٨٨٢ ) ثم تجددت في سنة ١٨٨٧ ؛ ولبت قاعة حتى نشوب الحرب الكبرى

ولكن ما الذي حدث عند نشوب الحرب الكبرى؟ التمت إيطاليا الوسيلة لتقض عهود تحالفها مع الدول الوسطى والتزام الحيدة أولاً ، ولم يمض عام حتى انقلبت إلى الحلفاء . ثم انضمت إليهم وأعلنت الحرب على حليفتيها القديمتين لتشارك مع الحلفاء في تحطيم الامبراطورية النموية والاستيلاء على نصيبها من أسلابها وحصلت إيطاليا على نصيبها من أسلاب الدول المهزومة ؛ وكانت أوفر الحلفاء حظاً في أوروبا لأنها فضلاً عن التوز بنحطيم الامبراطورية النموية جارتهما القوية وخصيمتها القديمة ، استولت على التيرول الجنوبي واستيريا ودلانيا ، وكفلت بذلك حدوداً منيعة في الشمال والشرق

ثم قامت الفاشستية الإيطالية ولم يرضها ما حصلت عليه إيطاليا من أسلاب الحرب ، بل اعتبرته غنيماً لها وانتقاماً لحقوقها فنشرت سياستها المعروفة في سبيل التوسع الاستعماري ، وعززتها بالتسلح والأهبات العسكرية العظيمة ، وأخذت تتربص الفرص لتحقيق مشاريعها وأمانها

وكانت إيطاليا قد عقدت منذ سنة ١٩٠٦ معاهدة ثلاثية مع بريطانيا العظمى وفرنسا تقضي بالعمل المشترك بينها لحماية أراضيها ومصالحها في شرق أفريقيا ، وتنص على وحدة الحبشة واستقلالها مع التنويه بمصالح إيطاليا في الحبشة ؛ وجددت هذه المعاهدة في سنة ١٩٢٥ . وفي سنة ١٩٢٨ عقدت إيطاليا مع الحبشة معاهدة صداقة وتحكيم ، وجددت عهودها للحبشة باحترام استقلالها ووحدتها ، وكانت إيطاليا من أشد المؤيدين لدخول الحبشة عصبة الأمم

ولكن الفاشستية الإيطالية كانت في الوقت الذي تقطع فيه على نفسها هذه العهود والوالتيق تحجيز الفرص ، وتدير اعتداءها سراً على الحبشة ، حتى إذا سنحت الفرصة نفذت مشروعها الاستعماري على مرأى ومسمع من العالم ، ولم تبال بموالتيق أو عهود ، وسخرت من كل اعتراض أو احتجاج ، وتم لها ما أرادت من القضاء على حريات أمة آمنة مستقلة

في برقة ، وأما الأهبات العسكرية الهائلة التي تتخذ هناك على مقربة من الحدود المصرية ، فليست سوى إجراءات تحفظية تقرر اتخاذها منذ بعيد . هكذا نسمع من رومة بين حين وآخر ، وهكذا أكد لنا السنيور موسوليني نفسه في حديث أفضى به منذ أسابيع قلائل ، وهكذا يؤكد ممثل إيطاليا في مصر للحكومة المصرية كلما أبدت دهشها وتساؤلها من سير الأحوال في برقة

بل هنالك ما هو أكثر من ذلك ، وهو أن الحكومة الإيطالية عرضت أكثر من مرة ، وما زالت تعرض بواسطة ممثلها في مصر على الحكومة المصرية أن تعقد معها ميثاق صداقة وعدم اعتداء . ويقال إنها تقدمت إلى الحكومة المصرية بمثل هذا العرض حتى قبل أن تعقد المعاهدة المصرية الانكليزية ومصر تقبضت بلا ريب بمثل هذه التأكيدات الودية من جانب حكومة رومة ، وتود لو أنها تستطيع أن تؤمن بها وتطمئن إليها

ولكن مصر لا تستطيع أن تؤمن ولا أن تطمئن ؛ ولها في ذلك أكبر العذر ؛ فالتاريخ يبيد نفسه دائماً ، وشواهد الماضي قرائن الحاضر ؛ ولا إيطاليا الحديثة في تقض الوالتيق والعهود تاريخ متصل لم تقطع حلقاته حتى اليوم ؛ وهو يدل دلالة واضحة على أنه إذا كانت إيطاليا الحديثة الناشئة قد آثرت مدى نصف قرن أن تجرى على سياسة انهاز الفرص وتقض العهود ، فإن إيطاليا الفاشستية التي تبحش بمختلف الطامع والأمانى لا يمكن أن تكون أحفظ للعهد وأجدر بالثقة والاطمئنان

وإليك منظر التاريخ الحاسم : لم تكذب إيطاليا الفتية تستكمل وحدتها واستقلالها في أواخر القرن الماضي حتى أخذت تساورها زعة الاستعمار والتوسع ، وتلتبس لتحقيقها جميع الخطط والوسائل ؛ وكانت تردد برمتها بين فرنسا وألمانيا ترى أي الناحيتين أ كفل للغم ؛ وكان وزيرها الشهير كرسبي رجل الطامع والمغامرات ، بل يمكن أن يقال إنه هو الذي وضع أسس سياسة التوسع التي تنزل إيطاليا إلى ميدانها اليوم . فلما احتلت فرنسا تونس في سنة ١٨٨٠ اضطرت إيطاليا سخطاً لأنها كانت تطمع في احتلالها ؛ وتجهول كرسبي إلى ألمانيا خصيمة فرنسا يخطب ودها ، وانهى الأمر بدخول إيطاليا في المحالفة الثنائية

## مسكين

## بين إنجليزى ولبوته

أثر العادة والتدريب فى الانسان والحيوان



كفت قد أبصرت فى بعض الصحف صورة شبل مع إنجليزى وطلتته (١) أو لبوته (٢) ... وهما يشربان الشاي (أو الشاي كما يقولون فى الحجاز) والثلاثة : الرجل والرجلة وابن الليث يتناظرون (٣) صامتين . وفى الصحيفة حديث عن أنس الوحش ، فلم أتعجب إذ رأيت هذا المسكين (أعنى الشبل) يقاعد إنجليزياً ، ولم أنكر ، ولم أقل : إن ذلك البريطانى قد تطبع بطبع الأسد الوحشى حتى اختلفا واصطجبا لأن الإنجليزى إنسان من الاناسية والناس لا يحتاجون كما يعرف العارفون إلى تدرب على طبيعة من طبائع الضواري والكواسر أو الجوارح (٤) ، فالقرايات كما حققت علوم كثيرة فى هذا الزمان بين منتصبى القامات اليوم وبين (٥) الماشيات على أربع والطائرات والزحافات واشجات قريات ؛ ووراثه الأجداد البعيدة ( بل القرية ) وهى التى يقال لها فى اللسان الأفرنجى L' atavisme ما زایلهم فى حين ، وما ضاع والحمد لله ... منها شيء ؛ وفى كل يوم ألوف ألوف من الأدلة المثبتة المسكنة ، المنحلة المخزية . وابل من شئت ممن تفخمهم ففخياً وتجلهم تبيجلاً وتجبهم — وهم من البشر — ملائكة ، فإنه « يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضا والسخط ، ويكاد أصلهم عوداً تنكأه اللحظة ،

(١) طلة الرجل : امرأته ، قال :

ولبى المحتاج إلى موت طلتى ولكن قرين السوء باق معى

(٢) البوة ساكنة الباء غير مهموزة : لفة فى البوة جضم الباء وبالهمزة

(٣) يتناظرون : ينظر بعضهم بعضاً لأنهم كانوا يتناظرون ويتباحثون فى كتابى ( أصل الأنواع ) لداروين و ( تاريخ الخلق الطبيعى ) لأرنست هيكل

(٤) ( الضارى ) من السباع ماضرى بالصيد ولهج بالفرائس ( باز كاسر ) وغاب كاسر ، كسر الطائر ضم جناحه حتى يتقن يريد الوقوع ( الجوارح ) ذوات الصيد من السباع والطيور

(٥) بين تكرار مع الظهور لا كما قال الحريرى فى ( الدرر ) وغيره والتكرير فى أقوال العرب كثير

ولما اضطرت الحرب الأهلية الأسبانية ظهرت إيطاليا الفاشستية من وراء الثوار تشد أزرهم وتذكى أوار الحرب بمجنودها وسلاحها ، وما زالت تمضى فى سياستها حتى اليوم تنفيذاً لمآرب ومشاريع استعمارية تبغى اجتهادها . ولما نظمت اليابان اعتداءها الأخير على الصين بادرت إيطاليا بإظهار عطفها وتأييدها لليابان المتتدية لأنها تسير فى نفس السياسة الاستعمارية التى تسير عليها هذا هو ماضى إيطاليا ، وهذا هو حاضر الفاشستية الإيطالية فى نقض العهود والمواثيق وتمزيق المجتمعات ، وفى ترقب الفرص غير المشروعة وتنظيم الاعتداءات الاستعمارية

والواقع أن الفاشستية الإيطالية لا تنكر جنوحها إلى هذه الخلطة ، فهى تنادى علناً بأن الحق للقوة وحدها ، وتسخر من كل عهد أو ميثاق أو حق لا تؤيده القوة ، وهى تجرى على سياسة مكيفيلية خالصة تبرر لتحقيق الغاية كل الوسائل فكيف تستطيع مصر بعد ذلك كله أن تثق بتأكيدات رومة الودية وتطمئن إليها ؟ إن التاريخ يمد نفسه دائماً ، ومصر ترجو ألا تكون ميداناً للوثبة القادمة

ومصر لا يمكن أن تطمئن إلا لنفسها ومقدرتها على الدفاع عن كيانها ، وهى تشعر شعوراً صادقاً بالخطر الذى يلوح لها فى الأفق ؛ ولكن مصر تثق أيضاً فى مستقبلها وطلعتها ، وتمتزم ألا تسمح لأحد بالاعتداء عليها . ومن حسن الطالع أنها تستطيع أن تعتمد فى مثل هذا الطرف على معاونة صديقتها وحليفها العظيمة بريطانيا العظمى . ومن حسن الطالع أن مصلحة مصر ومصلحة بريطانيا تتفقان هنا وتمتجان ؛ فالاعتداء على مصر يكون فى نفس الوقت اعتداء على ما تعتبره بريطانيا مركزاً حيويًا لمواصلاتها الإمبراطورية

على أن مصر يجب أن تعمل منذ الآن للاعتداع على نفسها قبل كل شيء ، فنحن فى عصر القوة لا فى عصر الحق ، ويجب أن تنزع الأمم اللئود عن حرياتهم وكيانهم بكل ما تدخر من القوى المادية والمعنوية ؛ وهذا ما استفعله مصر بلا ريب

ثم إننا نؤمن من جهة أخرى بأن هذه النظم الطاغية والخلط الاستعمارية الباغية التى تعول اليوم فى ميدان القوة والمدوان سوق تبهار متى وقع الإسطدام الحقيقى ؛ هذا إذالم تسارع قبل ذلك إلى تمزيق نفسها بنفسها (\*\*\*)

ازدوت بعد تلاوة ذلك الحديث إيقاناً بآثر العادة والتعود، وإيماناً بأن التدريب يقدر أن يذل الصاري ويقتاده — كان الله في عونته — إلى ملاسة أنجليزى (أو غير أنجليزى) ولا شيء في الدنيا أصعب من مخالطة الناس

\*\*\*

وفي العربية أقوال كثيرة في العادة والروت والتضرية والتدريب والتألف . وهذا خبر حسن يارع مجزئاً عن كثير في هذا المعنى ، وهو في الشرح الكبير (للتهج) لابن أبي الحديد : « إن لم تكن حليماً فتعلم ، فانه قل من تشبه يقوم إلا أوشك أن يكون منهم ) صحيحٌ في مناهج الحكمة ؛ لأن من تشبه يقوم وتكاف التخلق بأخلاقهم ، والتأدب بأدابهم ، واستمر على ذلك ومرن عليه الزمان الطويل ، اكتسب رياضة قوية وملكة تامة وصار ذلك التكاف كالطبع له ، وانتقل عن الخلق الأول . ألا ترى أن الأعرابي الجاني إذا دخل المدن والقرى وخالط أهلها ، وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الأعراب الذى نشأ عليه وتلطف طبعه ، وصار شبيهاً بما كنى المدن ، وكالأجنبي عن الوب . وهذا قد وجدناه في حيوانات أخرى غير البشر كالبازى والصقر والفهد التى تراض حتى تذلل وتأنس ، وتترك طبعها القديم ، بل قد شاهدناه في الأسد وهو أبعد الحيوان من الانس . وذكر ابن الصابي ( أبو إسحق ) أن عضد الدولة بن بويه كانت له أسود يصطاد بها الصيد فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه<sup>(١)</sup> ، وهذا من العجائب الطريفة »

(د)

(١) يذكيه : يذمجه ، والذكى الذبوح ، فى (الكشاف) : إلا ما ذكيت : إلا ما أدركتم ذكاته (ذبحه) وهو يضطرب اضطراب الذبوح وتشخب أوداجه

## العدد ١٨٣

أعدنا طبع العدد ١٨٣ من الرسالة ، فمن لم يكن عنده من حضرات المشتركين فليفضل بطلبه من الإدارة

وتستحيله الكلمة الواحدة<sup>(١)</sup> »

« والناس شجرة بني<sup>(٢)</sup> »

« وجدت الناس إن قارضتهم قارضوك ، وإن تركتهم لم يتركوك ، وإن هربت منهم أدركوك<sup>(٣)</sup> »

« وجدت الناس أخيراً ثقيل<sup>(٤)</sup> » :

يلفكك بالماء النخير الفتى وفى ضمير النفس نار تقيد<sup>(٥)</sup> يعطيك لفظاً لئناً مثه ومثل حدّ السيف ما يعتقد فالناس هم الناس ، و« م — كما قال عالم أفريقي — لم يزالوا حتى اليوم فى الأفق (الدور) الفردى الشبزي أو الشبزي » إنهم بمدلنى هذا الأفق وإن مشوا فى الأرض متفطرسين متكابرين متبجحين على إخوانهم الأفريين (ذوات الأذبال ... ) بما سمته لغاتهم تقدماً وارتقاء وإن أحمك بعضهم — وأنت فى القاهرة مقياً — صوت الجببية فى (نيويورك) وأراك صورة من موى فى بلاد (التمسة) :

من فى العراق يراك فى طرسوسا<sup>(٦)</sup>

فالناس هم الناس :

فلا تلمن الناس غير طباعهم

فتتب من طول العتاب ويتعبوا<sup>(٧)</sup>

أعود إلى أول كلامي فأقول : لا ، لا ، لم أقل : إن ذلك الأنجليزى قد تخلق بنحيزة صار فأنف كل صاحبه ؛ فالإنسان — كما أثبت علم العلماء وأثبت عمله هو — سبى بالطبع ، بل

(١) من كلام التهج . (تتحيه) يريد تحيله ، ولم أجد استعمال متدياً فى كلام عربي يوثق به ، ولا فى كتب اللغة المروفة

(٢) إنما جعلهم شجرة البنى إشارة إلى أنهم ينبتون وينمون عليه (البيداني) والقول مثل

(٣) أى إن نلت من أعراضهم نالوا من عرضك ، وإن تركتهم فلم تزل منهم نالوا منك أيضاً لسهو دخلتهم ، وخبث طباعهم (البيداني) قارضة : جازاه (التاج) يقارض الناس يلاحيهم ويواقهم (الأساس) والقول لأبى الدرداء

(٤) أبو الدرداء . فلاه يقليه قلى وقلاه . (بالفتح) ومقليه وقليه (كرضية) يقلاه : أبفضه ، والهاء للكت ، والمعنى وجدت الناس أى علمتهم مقولا فيهم هذا القول أى ما منهم أحد إلا وهو مسخوط الفل عند الجيرة (الفائق للزخترى)

(٥) أبو العلاء

(٦) التني . وصدر البيت : (كذب الخببر عنك ، دونك وصفه)

(٧) عمارة البيى

ودعتك وداعاً عادياً ، ولبنت في مدرستي أثنى درسى وأنا  
هادى الجوارح ساكن الطائر ، ولكن في القلب منى زلزلة ، وفي  
الأعصاب ناراً ...

حتى إذا عاد أخوك ناجي الذي سحبك إلى الباخرة فخبزني أنك  
سرت ( على اسم الله ) ، أحسست كأن قلبي قد هبط من هذا  
الزوال كبناء هوى ، وأن هذه النار قد تركت أعصابي رماداً  
منطقاً فسقطت على كرمي ... لا أدري فيم هذا الضعف ، ولا  
أحبه من نفسي ، ولكني أدري أنني أتحملك الآن وحيداً فريداً  
لا ترى حولك قريباً ولا صديقاً ، تظل من شرفة الباخرة فلا ترى  
إلا السماء والماء ، وقد أخذك دوار البحر فلم تجد معيناً ولا مسعفاً .  
وأتصورك في ذلك البلد الغريب الذي لا ترى فيه إلا وجوهاً  
تنكرها ، وأنت الذي لم يفارق أهله قط ، ولم يغب عن بيته ليلة ،  
ولم يسافر وحده أبداً ... فلذلك ما أحزن ، وفي ذلك أفكر

\*\*\*

ولكنها — يا أخي — خطيئة تربيتنا الانكالية . لو أن آباءنا  
عودونا ، ولو أننا عودناك على الحياة الاستقلالية الصحيحة ،  
وتركتناك وأنت في الثانية عشرة تذهب وحدك وتعود وحدك ،  
وعودناك حمل التبعات وأيقظنا فيك شخصيتك ولم ندعها ضائعة  
في شخصياتنا ، ودفنناك إلى استئثار مواهبك ولم نتركها معطلة ،  
لو فعلنا ذلك وأنت في الثانية عشرة لما خفت عليك للسفر وحدك  
إلى باريز وأنت في طريق المشيرين !

يا أخي .

إنك تمشي إلى بلد مسحور ( والمعوز بالله ) ، الداعب إليه  
لا يؤوب ، إلا أن يؤوب مخلوقاً جديداً وإنساناً آخر غير الذي  
ذهب ... يتبدل دماغه الذي في رأسه ، وقلبه الذي في صدره ،  
ولسانه الذي في فيه ؛ وقد يتبدل أولاده الذين هم في ظهره إذا حملهم  
في بطن أنثى جاء بها من هناك !

إي والله يا أخي ، هذه حال أكثر من رأينا وعرفنا ( إلا  
من عصم ربك ) ، يذهبون أبناءنا وإخواننا وأحبابنا ، ويمودون  
عادةً لنا ، دعاةً لمدونا ، جنداً لاستعمارنا ... لا أعنى استعمار  
البلاد ، فهو هتين لئين ، ثم إننا قد شفينا منه بحمد الله أو كدنا ...

## إلى أخي النازح إلى باريز !

للأستاذ علي الطنطاوي

« هذا الذي أقوله لأخي ، يقال  
لكل طالب مسلم يتربس في أوربة »  
« ع »

—>>><<<—

يا أخي !

لما دخلت ( مسابقة البثة ) أمسكت لك بالفوز لا عودك  
الله من التوفيق والمونة ، وحققت عليك التحية لأن ( الوزارة )  
لا تريد إلا مبعوثاً واحداً في ( العلوم الرياضية ) من سورية كلها ،  
وأنت لك أن تكون ذلك الواحد ؟  
فلما ظهرت النتيجة ، وكنت أنت الناجح في ( فرع الرياضة ) ،  
وكنت الناجح في ( الطبعة ) أيضاً ، حمدت الله على هذه المنة ،  
وذهبت أستمتعك بالسفر

ولما عزمت أعددت لك ما تريد وأنا فرح مستبشر مسرور  
كنت مسروراً لأنني أعلم أنك ذاهب تطلب العلم ، وتخدم  
الوطن ، وتقوم بالواجب

ولكن لم يكده يتحقق الأمر ، وبأزف الرحيل ، وأرى الباخرة  
الفخمة ( ماريت باشا ) رابضة حيال الرفأ ( في بيروت ) تسطع  
أنوارها وتتلألأ ، وأنت نظري على هذا البحر الهائل الذي يمتد  
في الفضاء أسود مثل الليل ، حتى يغيب في السماء ، أو تغيب فيه  
السماء ... لم أك أدري ذلك حتى أدركت الحقيقة الواقعة ،  
وعلمت أنك مودع نازح ، فغلبت على العاطفة ، وقاضت نفسي  
رقة وحناناً

لم أستطع أن أودعك ، ولم أقدر على رؤيتك وأنت في الباخرة ،  
ماخرة بك عباب اليم ، تنأى بك عنى ، حتى تصير نقطة صغيرة  
على شاطئ الأفق ، ثم تنحدر إليه ، وتختفي وراءه ، وتختفي أنت  
معها ، وتصبح<sup>(١)</sup> في نظري عدماً ، لأنني لا أحس لها وجوداً . .  
والوداع — يا أخي — جماع آلام الحياة وأساسها ومصدرها ،  
وأشد ألوان الوداع وآلها وأمرها وداع في البحر ، ذاك الذي  
لا يطبقه ذو قلب ..

(١) تصبح من لا هو

لا نجد مثله كل يوم . راجع وابحث وألف وانشر ، وعش في هذه السماء العالية ، ودع من شاء يرتع في الأرض ، ويعش على الجيف المطرة ...

غير أنك واجد في ثنايا هذه الكتب التي كتبها القوم المستشرقون عن العربية والاسلام ، وفي غضون هذه المحاضرات التي يلقونها ، عدواناً كثيراً على الحق ، وتبديلاً للواقع ، فانتبه له واقراً ما تقرأ واضح لما تسمع وعقلك في رأسك ، وإيمانك في صدرك . لا تأخذ كل ما يقولون قضية مسلمة وحقيقة مقررة ، فالحق هو الذي لا يكون باطلاً ، وليس الحق ما كان قائلاً أورياً فانظر أبدأ إلى ما قيل ، ودع من قال !

\*\*\*

ثم إنك ستري مدينة كبيرة ، وشوارع وميادين ، ومصانع وعمارات ... فلا يهولك ما ترى ، ولا تحقر حياله نفسك وبلدك كما يفعل أكثر من عرفنا من رواد باريس . واعلم أنها إن تكن عظيمة ، وإن يكن أهلها متمدين ، فما أنت من سودان أفريقية ولا بلدك من قرى التبت ... وإنما أنت ابن المجد والحضارة ، ابن الأساتذة الذين علموا هؤلاء القوم وجعلوهم ناساً ، ابن الأمة التي لو حذف اسمها من التاريخ لآض تاريخ القرون الطويلة صحفاً أيضاً لا شيء فيها ، إذ لم يكن في هذه القرون بشر يدون التاريخ تاريخه سواهم ... فن هؤلاء الذين ترى؟ إنهم أطفال أبناء أربعة قرون ، ولكن أمتك بنت الدهر بلا رلة الدهر كانت شابة ، وحين يموت الدهر تكون شابة ...

لا . لا أنغر بالمظام البالية ، ولا أعتز بالأيام الخالية ، ولا أذكر لك الماضي لتتقع به وتنام ، ولكن أذكر لك لأهز فيك نفسك العربية المسلمة ، لأستصرخ في دمك قوى الأجداد التي قتلت وأحيت ، وهدمت وبنيت وعلمت ، واستاقت الدهر من زمامه فانقاد لها طيماً ... إن هذه القوى كامنة في عروقك ، فأعنه في دمك ، فليفسر هذا الدم وليتر ويضطرم تظهر ثانية وتعمل عملها لاتقل : ما ذا يصنع طالب مثلي ضيف في أمة قوية ، فإن الأندلس المسلمة كانت بالنسبة لعصرها أقوى ، وكان روادها من طلاب الفرنجة أضعف ، ولكنهم استطاعوا على ضعفهم أن يضعوا ( هذه القوة ) التي تعجب بها أنت ، ويذوب فيها دين غيرك

وإنما أعنى استثمار الرؤوس بالعلم الزائف ، والقلوب بالفن الداعر ، والألسنة باللغة الأخرى ، وما تبع ذلك من الارتسات والسينات وتلك الطامات ، من المخدرات والخمور ، وهانك الشرور ...

فانتبه لنفسك واستمن بالله ، فإنك ستقدم على قوم لا يبالي أكثرهم المغاف ، ولا يحفل العرض . ستري النساء في الطرقات والسوح والمعار يعرضن أنفسهن عرض السلمة ، قد أذهبن مدينة الغرب وأفسدنهن ، وهبطت بهن إلى الحضيض ، فلا يأكلن خبزهن إلا مغموساً بدم الشرف ، وأنت لانعرف من النساء إلا أهلك ، مخدرات ومصومات كالدر المكنون ، شأن نساء الشرق المسلم ، حيث المرأة عزيزة مكرمة ، محجوبة مخدرة ، ملكة في بيتها ، ليست من تلك الحطة والمذلة في شيء ... فأياك أن تفتك امرأة منهن عن عفتك ودينك ، أو يذهب بليك جمالها مزور ، أو ظاهر خداع . هي والله الحية : لمس ناعم ، وجلد لامع ، ونقش بارع ، ولكن في أنيابها السم ... إياك والسم ! إن الله قد وضع في الانسان هذه الشهوة وهذا الميل ، وجعل له من نفسه عدواً ( الحكمة أزاها ) ، ولكنه أعطاه حصناً حصيناً يتصم به ، وسلاحاً متيناً يدرأ به عن نفسه ، فتحصن بحصن الدين ، وجرد سلاح العقل فوق الأذى كله ... واعلم أن الله جعل مع الفضيلة مكافئاتها : صحة الجسم ، وطيب الذكر ، وراحة البال ؛ ووضع في الذبلة عقابها : ضعف الجسد ، وسوء السمعة ، وتمب الفكر ، ومن وراء ذلك الجنة أو جهنم ...

فإن عرضت لك امرأة بزيتها وزخرفها فراقب الله ، وحكم العقل ، واذكر الأمرة والجدود ... لا تنظر إلى ظاهرها البراق بل انظر إلى نفسها المظلمة القذرة وماضيها الخبيث المتنن ، أتا كل من إناه ولفت فيه كل الكلاب ؟؟

يا أخي !

إن في بارز كل شيء : فيها الفسوق كله ، ولكن فيها العلم . فإن أنت عكفت على زيارة الكتاب وسماع المحاضرات وجدت من لذة العقل ما ترى معه لذة الجسم صفرأ على الشمال ( كما يقول أصحابك الرياضيون ) ، ووجدت من نفعها ما يعلقك بها حتى ما تفكر في غيرها . فمليك بها ، استق من هذا المورد الذي

أربعمائة متر ... وانطلق يقرر دائماً هذه الحقيقة !

\*\*\*

وبعد يا أخى ، فاعلم أن أئمن نعمة أنعمها الله عليك هي نعمة  
الايان ، فاعرف قدرها ، واحمد الله عليها ، وكن مع الله تر الله  
معك وراقب الله دائماً ، واذكر أنه مطلع عليك ، يعصمك من  
الناس ويُمدك من الشيطان ، ويوقظك إلى الخير

وفي اللحظة التي تشمر فيها أن دينك وأخلاقك في خطر ،  
احزم أمتعتك وعد إلى بلدك ، واخل ( السوربون ) تنع من  
بناها ... وانفض يدك من العلم إن كان لا يجيء إلا بذهاب  
الدين والأخلاق ...

أستودع الله نفسك ودينك وأخلاقك ، والسلام عليك  
ورحمة الله وبركاته  
على الطنطاري

## فرصة لتحسين مركزك

دروس بالبريد بواسطة أساتذة اختصاصيين على أحدث  
الطرق المتبعة في المدارس والجامعات الغربية ، للحصول  
على الشهادة الابتدائية أو البكالوريا ، دراسة اللغة الأجنبية  
للتخصص في الصحافة ، والشعر والرجل وفن الروايات .  
الرسم والكاريكاتور . القانون والثقافة العامة . التجارة  
ومسك الدفاتر . الزراعة وفلاحة البساتين . الهندسة  
الميكانيكية والكهربائية وهندسة البناء ، والهندسة  
الصحية . المساحة والطرق والكباري . السكك الحديدية .  
البلديات . المقاولات . التنظيم . الناجم . الراديو . التليفون  
التلغراف . التجارة . الحداثة . السيارات . الخ ...

كتاب طريق النجاح في ٨٠ صفحة مقابل ١٠ مليات  
طوابع بوستة فقط . قسيمة مجاوبة في الخارج .  
واكتب إلى مدارس المراسلات المصرية ١٠ شارع قنطرة  
غمرة مصر - تليفون ٥٠٣٥٩

وخلقه ... إن الدهر يا أخى دولاب ، والآيام دول . وإن في  
الشرق أدبنة ، وفي الشرق سواعد ، وفي الشرق مال ، ولكن  
ينقص الشرق العلم فاحمله إليه أنت وأصحابك ، وعودوا إلى الشرق  
شركيين معترين بشرقيتهم الخيرة المادلة ، كما يعتر النرييون  
بفريبتهم الظالمة الطاغية . واعلموا أن مهمتكم ليست ورقة  
تتالونها ، قد تتال بالنش والاستجداء والسرقة ... ولكن مهمتكم  
أمة تحيونها

يا أخى !

إذا وجدت واسماً من الوقت فادرس أحوال القوم  
وأوضاعهم في مایشهم وتجارتهم وصناعتهم ومدارسهم ، واجت  
عن أخلاقهم ومعتقداتهم ، على أن تنظر بعين الناقد العاقل الذي  
يدون الحسنة لتعلمها ، والسيئة لتجنبها . ولا تكن كهؤلاء  
الذين كتبوا عن باريز من أبناء العرب ، فلم يروا إلا المحاسن  
والمزايا ، ولا كأولئك الذين كتبوا عن الشرق من أبناء  
الغرب ، فلم يمسروا إلا المخازي والعيوب ، ولكن كن عادلاً  
سابقاً أميناً

وإياك وهذه الحماقة التي يرتكبها بعض الكتاب من الفرجية  
حين يهرفون بما لا يعرفون ، ويقولون ما لا يعلمون ، كهذا  
الأخرق الصفيق الذي عمل أطروحة موضوعها ( الحج ) قدمها  
إلى جامعة كبرى وهو يجهل العربية ، ولا يعرف أى كتاب من  
كتب المسلمين بحث في الحج ، وإنما جمع الأخبار من الصحف  
ومن أفواه العامة ؛ وكتب في نظام الرى في النوبة ، وزعم أنه  
وفى البحث وأتمه ، وهو لا يعرف منه إلا ما خبره به ثلاثة  
فلاحين لقيهم في قرية ذهب إليها ، مع أن نظام الرى في النوبة  
لا يكاد يعرفه في دمشق إلا نفر قليل ... وذلك الذي كان مملكاً أولياً  
في بلده فصار عندنا مدير دار المعلمين العالية ، فذهب مع طلابه إلى  
ظاهر دمشق ، فشى ينظر على جانبي طريق ( الربوة ) هنا وهناك ...  
فوجد في الجبل أترأ الماء ، فقال : من أين جاء هذا الماء ؟ لا بد  
أن يكون جاء من بردى ، إذ لا ماء في دمشق إلا من بردى . فإذا  
تكون نتيجة ( البحث العلمي ) في هذه المسألة ؟ هي أن بردى  
كان يصل إلى هنا ... إذن فقد كان عرض بردى في الماضي

# أطراف من تاريخ الملابس

عند المسلمين

للمؤرخ المستشرق روزي (\*)

للأديب محمد طه الحاجري

—•••••—

كاد فن صناعة الملابس أن يكون مجهولاً في العهود الإسلامية الأولى ، يوم كان العرب كلهم بدواً إلا قليلاً ، وكانت المدن صغيرة ضئيلة الخطر ، فكانت الأردية البسيطة المفردة كافية في الوفاة من البرد والحرج . وما كانوا يحسبون أن من الممكن أن تصنع الملابس على أسلوب رشيقي ، بل كان ناسج الثوب هو وحده الذي يقوم بالأمر . ولكن العرب حينما فتحوا وشيكا فما كبراً من آسيا وأفريقية وأوروبا ، انصلموا بالشعوب التي غلبوها ، وكانت قد وصلت إلى درجة عالية من الحضارة ، فلم يلبثوا أن تركوا شيئاً فشيئاً حياة البادية ، وأخذوا يستقرون في المدن (١) . وكذلك أدركوا أن في مكنتهم أن يصنعوا لأنفسهم ثياباً أرشق مما كانوا يلبسون ، فأخذوا كثيراً من زى الشعوب التي غلبوها . ولما كانت مظاهر الترف قد تقدمت عند الفرس تقدماً عظيماً ، فقد أحس بلاط بغداد إحساساً مطرداً بنفوذ جيرانه ورعاياه ، كما أن تقدم الحضارة والتجارة أنشأ مصانع من كل نوع . وما أسرع ما ضمت بغداد عدداً عظيماً منها ، كان مقدار ما فيها من الثياب الحريرية الفاخرة ، والأقمشة المصقوفة بالذهب والفضة وما إليها ، يتضاعف مضاعفة مستمرة

أما في المغرب فكان الأمر على العكس من ذلك ، إذ اختلط العرب بالراكشيين والبرابرة ، وهم شعوب جافية ، دون فائهم في الحضارة ، فكانت مظاهر الترف مجهولة لديهم ، فأخذ العرب منهم إلى حد ما زيمهم البسيط الفليظ

أما في الأندلس فقد استخلص العرب لأنفسهم جزءاً كبيراً

(\*) ترجمة الفصل التي كتبه مقدمة لكتاب التيم : « قاموس نصلي بأسماء الملابس عند العرب »

(١) راجع مقدمة ابن خلدون في الفصل الذي عقده عن صناعة الحياكة والحياطة

من زى الفرسان السحيين ، ولا سيما في العهد الأخير من عهود ملكهم . ويصرح ابن سعيد بأن أقبية عرب الأندلس كانت تشبه أقبية السحيين . ويقول ابن الخطيب المؤرخ ، وهو يتحدث عن محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش التتوفي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري : « وآثر زى التصارى من السلاح والملابس واللجم والسروج »

أما في مصر والشام فقد عانى الزى تغيرات عظيمة بسبب غارة الأتراك

وقد أحدث امتزاج العرب بالأجانب أن وجد دائماً اختلاف كبير بين أزياء الشعوب المختلفة التي تكون الإمبراطورية العربية الشاسعة ، حتى أنه ليستطاع لأول وهلة أن يميز عربي الشرق من عربي الغرب . ويقول ابن إياس ، وهو يتحدث عن المؤرخ الشهير ابن خلدون : « واستقر لما تولى القضاء وهو زى المغاربة فقد ذلك من النوادر » ويقول التتوري وهو يروى وفاة الملك القاهر بهاء الدين أبي محمد عبد الملك بن الملك المعظم : « وكان يلبس ملابس العرب ويترأ بزيمهم ويركب كركهم ويتخلق بأخلاقهم في كثير من أفعاله » وحتى الذين يسكنون المدن القريب بعضها من بعض كانوا يختلفون في أزيائهم ، فقد كتب أحد المغاربة — وسماه مارمول Francisco Nunez Muley — يقول ، حينما حرم فيليب الثاني على مغاربة الأندلس أن يلبسوا زيمهم الوطني : « إن زى نساننا ليس مغريباً بل هو زى مدنى كما في قشتالة ، وإن الشعوب الإسلامية في البلاد الأخرى تختلف في أعطية الرأس وفي الثياب والأحذية . ومنذا الذي ينكر أن زى مراكشيات أفريقية والتركيات يختلف عما تلبسه نساؤنا في غرناطة ؟ وكذلك تختلف أزياء الرجال ، فليس زى فاس كزى تلمسان ، وليس زى تونس كزى مراكش ، وكذلك الأمر في تركيا والممالك الأخرى » وهناك فوق ذلك اختلاف كبير في زى الطبقات المختلفة التي تتكون منها الجماعة الإسلامية حتى ليستطاع تمييز الرجل الخاصي من العامى والجندى من شكل المهامة على الأخص ، وكذلك كانوا يعرفون بها المنصب الذي يشغله من بقونه

يبد أنه يجب ألا يؤخذ هذا القول بوجه عام إلا عند أهل المدن ، أما البدو فقد احتفظوا تقريباً بالزى القديم ، ولاحظوا تعاليم الدين أكثر من الحضريين

كذلك . أما الشيعة فعلي العكس من ذلك يجرمون السواد ، إذ تقرأ في رحلات شردان Voyages de chardin ما يأتي :  
« ولا يلبس الأسود في الشرق ولا سياً في فارس لأنه لونه مشثوم بفيض لا يمكن النظر إليه ، ويسمونه لونه الشيطان » أما اللوان الأحمر والأسفر فكروهان من غير أن نعرف سبب كراهيتهما ؛ غير أنى أفرض أن الأصفر مكروه لأنه لونه البغض ، والأحمر لأنه لونه الدم . ومع هذا فكثيراً ما يلبس السلون نياياً حمراء وصفراء . ويقول ابن جنى والواحدى : إن الثنيات يلبس عادة ملابس حمراء . أما الملابس الخضراء فلا يلبسها إلا الأشراف سلاة الرسول ( ص )

ويظهر أنه ليس بين الحنفية والمالكية والشافعية كبير خلاف في فصل الملابس ، ولكن يظهر أن مذهب ابن حنبل ، وهو أكثر المذاهب تشدداً ، قد أبعد في التشدد في هذه المسألة . وها هو ذا جاء في تاريخ مصر للنويرى ( في حوادث سنة ٧١٦ ) :  
« وفي هذه السنة فوض قضاء الحنابلة بدمشق إلى شمس الدين أبى عبد الله محمد ؛ ووصل إليه بتقليد القضاء من الأبواب السلطانية في يوم السبت ثامن صفر . وقرى بجامع دمشق بحضور القضاة والأعيان ، وخرج القاضي شمس الدين المذكور من الجامع ماشياً إلى دار السعادة ، فسلم على نائب السلطنة ، ثم نزع الخلعة السلطانية وتوجه إلى جبل الصالحية وجلس للحكم في سابع عشر صفر ، وما غير هيئته ولا عاداته في مشيه وحمل حاجته ، وبجلس للحكم على منتر غير مبسوط ، بل يضعه في يده وبجلس عليه ، ويكتب في محبرة زجاج ، ويحمل نعله بيده فيضعه على مكان ؛ وإذا قام من مجلس الحكم حله أيضاً حتى يصل إلى آخر الأيوان فيلقبه ويلبسه . هكذا أخبرنى من أئق بأخباره ؛ واستمر على ذلك ، وهذه عادة السلف »

ولست أدرى إن كان كل الحنابلة على هذا التواضع الشديد أم هم القضاة وحدهم ؟ ويؤسفنى أن ليس لدى من فقه الحنابلة ما أراجعه في هذه المسألة ، بل يظهر أن هذا الفقه نادر جداً في أوروبا ولكى نكون لأنفسنا فكرة عن التطورات التى طرأت على زى العرب تقارن ثوب محمد صلى الله عليه وسلم بثوب رجل من الطبقة المتوسطة من أهل القاهرة في القرن السادس عشر بمد غارة الأتراك

ولقد حدث محمد ( ص ) أحداث عديدة لئمنع مظاهر الترف في الثياب من أن تتغلغل في أمته ، وقد استخلص فقهاء الاسلام من هذه الأحداث نظاماً بالمبادئ والقوانين الخاصة بالزى ، وسنمرضا هنا وفقاً لما جاءت به كتب الفقه الحنفى والمالكي إن وظيفة الملابس ، على ما يقول كتاب ملتى الأبحر ، هي ستر العورة والوقاية من الحر والبرد ؛ والأفضل أن تكون من القطن أو الكتان غير مغالى فيها ولا شديدة الرنائة . وليس أخذ الزيتة حراماً متى كان لا يظهر نعم الله التى تفضل بها علينا . أما حين تصدر عن الكبرياء فانه ممنوع . وكثيراً ما أوصى عطاء العرب والفرس بالتواضع في هيئة اللباس ، ويقول النويرى ، مثلاً ، وهو يمدح سلاح الدين :

« وكان لا يلبس إلا ما يحمل كالكتان والقطن والصوف »  
ويقول في موضع آخر بمناسبة موت الأمير جمال الدين ايدغدى العزيز : « وكان مقتصداً على ملبسه يلبس الثياب القطن من الهندى والبطنكى وغيره مما يباح ولا يكره لبه » ( راجع : Anthologia Cersicp, pag. 56 , 58 ).

والحرير مباح للنساء محرم على الرجال إلا أن يتخذوا منه حاشية لثيابهم لا يتجاوز عرضها أربعة أصابع فذلك جائز لهم ؛ ويرى البعض ألا تتجاوز إصبعين ؛ أما المالكية فيرون ألا يبلغ عرضها عرض إصبع واحد . وقد نهى النبى ( ص ) نهياً مشدداً عن الملابس الحريرية فقال : « من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة » وقال : « إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة » ويميز الحنفية للرجال أن يلبسوا نياياً سداها من الحرير ولحفا من غيره ، وأما عكس هذا ، أى أن تكون اللحمة من الحرير والسدى من غيره فلا يحمل إلا في الحرب . ولا يتفق المالكية فيما بينهم في جواز لبس القماش المسمى بالخرز ، وهو ما سداه حرير ولحمته صوف ، ولكن الأكثرين على منعه والأكثر استجاباً من الألوان الأبيض والأسود ؛ أما الأبيض فلقول الرسول ( ص ) : « إن الله يحب الثياب البيض وإنه خلق الجنة بضاء »

ويقول مؤرخ إفريقي وهو يمدح عبدالرحمن الأول أول ملوك الأندلس : « كان يلبس البياض ويتم به » ، وأما الأسود فلأن محمداً ( ص ) كان يلبس يوم فتح مكة جبة سوداء وعمامة سوداء

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يلبس قيصاً من القطن الأبيض تصل أكامه إلى المعصم، وسروالاً من القماش؛ وما كان فوق القميص والسروال - فيما يظهر - إلا ثوب واحد هو الجبة؛ وهي ثوب طويل من الصوف، وحواشيه من الحرير، مفتوح من أمام، ضيق الأكام؛ أو القباء، وهو ثوب طويل مهيأ بالأزرار من أمام. وكان يلبس في بعض الحالات - بدلاً من هذه الثياب - كساء من القماش الفليظ، وهو عادة قطعة كبيرة من الصوف السميك رمادية اللون مخططة، يلف بها الجسم، وهي (البردة). وكان محمد (صلى الله عليه وسلم) يلبس الهامة البيضاء أو السوداء ويرخي طرفاً منها على ظهره. وأما حذاءه فكان نمالاً مصنوعة من جلد الإبل، مربوطة بسيرين يمر أحدهما بوسط القدم والآخر بين الإبهام وما يليه.

فنحن نرى أن زى الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان في غاية البساطة، ولا يزال هو زى أهل الصحراء في أيامنا هذه. فالبدو لا يلبسون - مثل الرسول - إلا قيصاً من القطن، وثوباً طويلاً، وقد يستمضون عنه بكساء من الصوف.

أما زى الرجل القاهري في القرن السادس عشر، فيتألف من عدد عظيم من الملابس - فلا ترى بحال ما تلك البساطة التي كانت تميز زى الرسول، والتي لا تزال ترى في زى البدو - فكان يلبس فوق القميص والسراويل قفطاناً من الحرير في ألوان مختلفة قد خالط بعضها بعضاً، ولهذا الثوب أكام فضفاضة؛ ثم يلبس فوق القفطان حزاماً من الحرير أو الوبر أو الصوف. ثم جبة طويلة مفتوحة من الأمام، ذات كمين قصيرين لا يصلان إلى المعصم حتى يظهر طرفا كمي القفطان وقد تجاوز الأصابع؛ وهذا الثوب أقصر قليلاً من الأمام عنه من خلف، وهو مصنوع من القماش الأحمر أو الأزرق أو الرمادي؛ ثم يلبس فوق الجبة ثوب فضفاض يصنع عادة من الوبر، ويزين أحياناً بالفراء، وهو القراجية. أما غطاء الرأس فيتكون من طاقية صغيرة من القطن وطربوش أحمر وقطعة طويلة من الشاش (الموسلين) تستدير حول الرأس. وأما الحذاء فمن الجلد المراكشي الأحمر.

وجمال الثياب وعددها يتخلع على لابسها في الشرق العظيمة ويمت على احترامه وهول مثل الفارسي «قربت بلباس» ويفسره تاثيرنيه Tavernier بقوله: بمقدار ما تتجمل في ثيابك، تقابل

بالاجلال، وتنال الحظوة في القصر والقرب لدى العطاء. أما في مصر فهناك ما جاء من ذلك في كتاب «وصف مصر» Description de L' Egypte: كلما كدس الناس من الثياب على أجسامهم ضاعفوا الاحترام والتقدير الذي يبعثونه لأنفسهم؛ فليس يبدو غريباً إذن أن يعنى الشرقيون بأن تكون ثيابهم نظيفة طيبة الرائحة، وقد جاء في الأغاني عبارة: «ملاة مطيبة» كما نقرأ في تاريخ مصر للتويزي أنه وجد في ذخائر أحد العطاء لعبة من العنبر على قدر جسده، برسم ثيابه، توضع ثيابه عليها لتكسب رائحتها. وورد في «ألف ليلة وليلة» هذا البيت من الشعر: وتميس بين مزعفر ومصفر ومعتبر وممسك ومصنديل كما وردت فيه أيضاً هذه الفقرة: «لبست تلك البذلة الفاخرة وكانت مطيبة» وفي موضع آخر منه: «قدمت تبخره فطارت شرارة فأحرقت طرفه». ويقول بوركهارت Burekhardt عن وهابي نجد أنهم يعنون بتطيب الكوفية بأنواع من الطيوب ونخص الأردن بالتطيب، ففي قصيدة للمثنبي يقول:

أت زائرأ ما خاصر الطيب ثوبها وكالكسك من أردانها يتضوع  
أما عادة منح الثياب للدلالة على التقدير فمادة شرقية قديمة؛ ومع ذلك يقول القرزي: إن أول من استعملها هو هرون الرشيد حينما خلع على نديمة جعفر بن يحيى البرمكي. ويسمى ثوب الشرف هذا خلعة، ثم سمي بعد هذا تشريقاً. ثم لما تقلعت هذه المادة أصبحت من القوة بحيث كان الأمير يخلع الرداء الذي يرتديه، فيلبسه الشخص الذي هو موضع تكريمه أو أجازته. ولكن يظهر أن الأسماء لم يكونوا بعد ذلك يهبون من الثياب إلا بما هو مودع في خزائن ثيابهم، أو ما كان جديداً كل الجدة؛ ولكنه كان من دلائل الشرف دائماً أن يلبس الرجل ثياباً كان الأمير يلبسها من قبل؛ ولم يفت المؤرخين أن يشيروا إلى ذلك، فما يحكي التويزي هذه العبارة: «أنتم على الأمير سيف الدين بشر بوش كان قد لبسه» أما حين يراد معرفة أنواع الثياب التي تتألف منها الخلعة أو التشريف، فقد أشرفنا على مسألة شديدة الصعوبة؛ وإن يكن يخيل إلى أن الأمر كان يرجع، في حكم بعض الأسر، إلى اختيار الأمير المطلق؛ ومع هذا، فإذا كان فيرس Veijers يحسب أن الخلعة كانت تتكون غالباً، أو مطلقاً، من القباء وحده، فإنني أرى لزماً على أن أدل هنا على أن هذا رأى خاطئ الأساس. وإذا

يشرف أحداً من أصحابه خلع عليه من ملابسه ، ونحن نملك طريقه ؛ وقد أرسل إليك من ملابسه ، وأمر أن تلبسه في مجلسك هذا وأنت تحكم بين الناس ؛ وكان الملك العظيم أكثر ما يلبس قباءً أبيض وكلوة صفراء . وفتح الرسول البقجة ، فلما نظر القاضي إلى ما فيها وجم . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فأخبرني الرسول الذي أحضر هذه الخلعة والرسالة بذلك . قال وكان السلطان أمرني أن ألبسه إياها بيدي إن امتنع أو توقف ، فأشرت عليه بلبسها وأعدت الرسالة عليه ، فأخذ القباء ووضعته على كتفه ، ووضع عمامته على الأرض ولبس الكلوة الصفراء على رأسه ، ثم قام ودخل بيته ، ومرض إثر هذه الحادثة وروى كيدته ومات ؛ ويقال إن ذلك كان في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبعمائة »

ويذكر بعض المؤرخين الأسبان أن ملك قشتاله الدون اريك Eon Lnrique مات مسموماً لأن ملك غرناطة محمداً أهدى إليه حذاءً غمراً في السم

وكانت الثياب السوداء تلبس قديماً للدلالة على الحداد ، سواء في لبسها لذلك الرجال والنساء . ومن المعلوم أن زى العباسيين الأسود إنما انتحل حداداً لموت الامام إبراهيم بن محمد وكذلك جاءت هذه العبارة في تاريخ مصر للنويري : « شق القاهرة وهو لابس السوداء ، وأعلامه كذلك ، حزناً على الظاهر »

ولكن الرجال في الأزمنة التأخرة صاروا لا يلبسون ثياب الحداد ، إذ كانت تبدو كأنها دليل على عدم الصبر على ما قدر الله أما النساء فلا يزالون يلبسونها في الشرق ، ولكن عند موت الزوج أو القريب الأدنى ، ولا يلبسونها في موت من تقدم به العمر . وقد جاء في معجم الأعلام الذي وضعه ابن الخطيب أن الشاعر الشهيرة حفصة ، عشيقه أبي جعفر أحمد بن سعيد ، الشاعر الشهير ووزير صاحب غرناطة ، لبست الحدادين بلبسها أن حبيبها قد قتل ، ولكن هذا من غير شك شذوذ من العادة العامة ويكون الحداد بأن تصبغ المرأة بالبيلة قيصها وقناعها الذي تغطي به رأسها وتستر به وجهها ومتديها صبغة زرقاء قائمة أو قريبة من السواد . وتلبس النساء ثياب الحداد فترة الأيام السبعة أو الخمسة عشر أو الأربعين في بعض الأحيان أما في الأندلس ، أثناء حكم الخلفاء الأمويين فكانت ثياب

كان صحيحاً أن ثوب الشرف كان يتكون ، في حكم حسن باشا لليمن ، من القباء ، فإن الأمر لم يكن كذلك في بغداد ومصر مثلاً ، فقد كانت الخلعة أو التشريف تتكون من ثياب مختلفة غير ذلك . فالنويري يذكر لنا أن الخلعة التي وهبها خليفة بغداد للملك الناصر داود كانت تتكون من قباء حريري وشربوش ، كما يحكى في موضع آخر أن الخلعة التي أعطها الخليفة العباسي المعتصم بالله كانت تتكون من عمامة سوداء وفراجية موشاة بالذهب . وقرأ فيما يمد ذلك أن ثوب الشرف الذي منحه الخليفة كان يتألف من عمامة من الحرير الأسود المطرز بالذهب ودراعة . أما الخلعة التي كانت تعطى للوزير في مصر فكانت تتألف من جبة وفراجية وطرحة . وكذلك كان التشريف يتكون من ثياب مختلفة . وأخيراً تدلنا عبارة أخرى للنويري على أن ثياب الشرف كانت تختلف في القماش الذي صنعت منه ، والقطع التي تتألف منها حسب مرتبة من تقدم إليه ، أو حسب الخدمات التي أداها للأمير

وكان الأمير في كثير من الأحوال ، يقدم إلى جانب الخلعة ختجراً وحصاناً وأشياء أخرى . كما أنا كثيراً ما نقرأ عن خلعة كاملة وتشريف كامل

وكانت ثياب الشرف التي يهبها الخلفاء العباسيون تكاد تكون دائماً سوداء

ولم تكن الغاية من الثياب منحصرة لسوء الحظ ، في الزينة بل كان شيطان البقوض والانتقام يستعملها في انتزاع الحياة بطريقة دينية . ومن المعروف عند الغربيين أن الثياب كانت تستعمل في القرون الوسطى لهذه الغاية . ويكفي قليل من الأمثلة المأخوذة من التاريخ الإسلامي لإثبات أن هذا الأسلوب من الانتقام الذي لم يكن مجهولاً في الشرق . والنويري يقص علينا أن السلطان الأيوبي ، الملك العظيم ، أصمر سخطاً شديداً على قاضي القضاة لأنه أقع أخت صلاح الدين والملك العادل ست الشام بنت أوب أن توقف أموالها على بعض المؤسسات الدينية ، فخيت حماسة القاضي الدينية آماله . ولقد حاول الأمير عبثاً أن يجد حجة يستطيع أن ينتقم بها من القاضي ، ثم لما وجد أخيراً هذه التهمة أرسل إليه وهو في مجلس حكمه ، وحوله جماعة كثيرة من المدبول والتحاكين ، فلما جاءه الرسول قال له : السلطان يسلم عليك ويقول لك : للخلقة ، سلم الله عليه ، إذا أراد أن

أناشيد صوفية

به على دون سؤال : هذه السماء والنور ، هذا الجسم والحياة والعقل  
ثم نجيتني من خطر الرغبة الجامحة  
في حين كنت أبتاطاً في فتور ؛ وفي حين آخر كنت أهب  
مسرعاً إلى الغاية ؛ ولكنك كنت تخفي نفسك عني في قسوة  
وعلى مر الأيام جعلتني أستاهل منك القبول المحض بمد طول  
رفضك إلي ، وأنت جنتني خطر التخاذل والرغبة المضطربة

- ١٥ -

أنا هنا لأردد لك الأناشيد ، ولأجلس في زاوية من فنائك  
لاعمل لي في دنياك ، فإني الخاوية تنفجر عن الحان لاغاية لها  
وعند منتصف الليل ، حين تدق الساعة في محرابك المظلم ،  
مؤذنة بصمت العبادة الرهيب ؛ مُرّتي ، يا إلهي ، أن أقف  
أمامك لأرتل أغاني

وبين نسمات الفجر ، وقيثارك الذهبية تصدح ، شرقتي  
واطلب إلي أن أتقدم بحوك

- ١٦ -

لقد لبيت الدعوة إلى مهرجان الحياة ، فكانت حياتي سميدة .  
إن عيني تبصران ومسمي تسمعان  
وكان عملي في هذا الحفل أن أعزف على قيثاري ، فبذلت  
غاية جهدي

والآن ، أسأل : أألم يأن لي أن أنطلق لأرى وجهك  
وأحبيك في سمت وهدهو .

- ١٧ -

أنا أنتظر من أحب لألقى بنفسي بين ذراعيه . هذا هو  
عذري حين أبطأت ، وهو ذنبي حين أهملت  
لقد جاءوا جميعاً وبين أيديهم القانون ومواده ليوثقوا به يدي  
فأقلت من قبضهم لأنني أنتظر من أحب لألقى بنفسي بين ذراعيه  
والناس بلوموني ورموني بالغبلة ، ولا ريب فهم على حق  
انفضت السوق ، وأبجز كل ذي عمل عمله ، وانصرف الدين  
جاءوا يتصحونني وفهم الفيظ والغضب ؛ وأنا أنتظر من أحب  
لألقى بنفسي بين ذراعيه

- ١٨ -

إن السحب تتكاثف في السماء والدنيا تظلم ؛ آه ، يا من أحب ،  
لماذا تركتني وحيداً في هذا العراء ؟ عند الظهر في ساعات العمل ،

## جيتا انجالي

للتاعر الفيلسوف طاغور

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

- ١٣ -

إن اللحن الذي جئت لأزعم به ظل مكفوفاً في نفسي للآن  
وتصرمت الأيام وأنا أشد أوتار قيثاري وأرخبها  
لم يأن لي أن أبدأ فالكلمات لم تواتني ، غير أن الرغبة للوحة  
تنزى في قلبي

إن الكيم لم يفتح ، ولكن الريح ترف حوالبه  
لم أر وجهه ، ولم أسمع رنات صوته ؛ غير أنني استثمرت  
خطواته الرفيقة وهو يسير الهويني أمام داري  
ومر اليوم الطويل وأنا أهيم له مكاناً ، ولكنني لم أستطع  
أن أدعوه إلى داري لأن سراجي كان هامداً  
وهأنذا أعيش بالأمل في لقاءه ، ولكن اللقاء لم يحن

- ١٤ -

إن رغباتي كثيرة ، وفي صيحاتي الألم ؛ أفتردني في رفض  
قاس والرحمة منبثة في أضفاف حياتي هنا وهناك ؟  
وعلى مر الأيام جعلتني أستاهل من آلائك العظيمة ما أنعمت

الحداد بيضاء . إذ نقراً في تاريخ الأندلس للمقرى هذه العبارة :  
« عليهم الظهار البيض شعار الحزن »  
. ويلبس العرب ثياباً حمراء أو صفراء حينما يريدون الدلالة  
على الغضب . وقد جاء في كتاب ألف ليلة وليلة هذه العبارة :  
« لبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء » ولكن هذه المادة ربما  
كانت عادة تركية

أما في الغرب فكان اللون الأصفر هو الذي يدل على الغضب  
فقد لاحظ بيدودي سن أولون وويندوس Pidoude St. Olon et  
Windus أن ملوك مراكش كانوا إذا اعترموا أن يسفكوا دماً  
لبسوا في الثياب صفراء محمد طه الطائري

وفي صمت لا يشعر به الرقيب

واليوم أغمض الصباح جفنيه ، لا يمبأً بصغير الرياح الشرقية  
وهي تلح في نداءها ، وقد أسدل نقاب كثيف على وجه السماء  
الأزرق الثالث

وأمسكت الغابة عن تردد لحنها ، وغلقت الأبواب ؛ وأنت...  
أنت يا عابر السبيل تضرب في الطريق الصحراوي وحيداً . أوه ،  
يا صديقي العزيز ، يا من أحب ، إن باب داري مفتوح على مصراعيه  
فلا تمر به كأنك حلم

— ٢٣ —

يا صديقي ، أفأنت في العراء تم رحلة الهوى في هذه الليلة  
العاصفة ؟ وإن السماء تئن كأنها مصدور بنفس عن نفسه  
لقد أرتقت الليلة ، يا صديقي وباب داري مفتوح فانظر إليه في  
هذا الظلام الدامس . أنا لا أرى — في هذا الظلام — شيئاً مما  
أماي ، فلا أستطيع أن أجد الطريق إليا

عند شاطئ أي نهر مظلم قائم : لدى حافة أية غابة سوداء  
حالكه ، وفي ثنايا أي عمق معتم منسل ، جلست يا صديقي ، ترمم  
في نفسك الطريق إلى

— ٢٤ —

إذا انطوى النهار ، وصمتت الطيور الفريدة ، وهدأت الرياح  
الزفازفة ؛ فانشر على قناعاً صفيقاً من الظلمة كما نشرت على الأرض  
أستار النوم ، وكالفت أوراق زهرة اللوتس النابلة في غيابة الظلام  
نحج عن السأح الذي تفد زاده ، وتمزقت ثيابه ، وتشمث  
واغبر ، وخارت قوته ، وانطفأت منته ، قبل أن يبلغ غايته ... نحج  
عنه الضنا والفقر ، وانفت فيه من روح الحياة ليكون كزهرة  
تلفعت برداء الليل الرفيق

— ٢٥ —

في الأمسية التي أكدت فيها الجهد ، وعنى أتم هادئاً وفي  
ننسى الإيمان بك

ولا تطلب إلى أن أرق نفسي التعبة بمبادتك  
فأنت الذي حسرت عن عيني النهار نقاب الظلام ليبدو  
فيهما النشاط والرح من جديد بمد أن أضنها التيب والأسى  
فامل محمود مبيب

أندفع بين الزمر . والآن فهذا اليوم الظليل الهادي . وهو لك يامن  
تعلق به أمل

فاذا لم تطلع على لأجلى النور من وجهك ، وتركتني وحيداً  
فكيف أقضي هذه الساعات الطويلة الممطرة  
أنا أحرق في السماء التجممة ، وقلبي المضطرب يئن مع الرياح  
العاصفة

— ١٩ —

إذا لم تتحدث حديثك فاملاً قلبي من صمتك العميق وأمله  
راضياً ؛ ساطعن وأتظر كالليل لسهر كواكبه ورأسه مطاطاً  
في صبر

لا ريب فالصباح آت ليدد الظلمات ، وسيندفع صوتك في  
مجاربه الذهبية يخترق أطباق السماء ، وسيرفرف كلك في جناحي  
لحن كأنه طيرى النريد ، وتتفتح أنفامك عن زهر في أنحاء حديقتي

— ٢٠ —

يا أسفا ! في اليوم أينمت زهرة اللوتس . كان عقلي مضطرباً  
فلم أحس بها ، وكانت سلتى فارغة ولكن الزهرة ظلت مكانها  
الآن تملأني حزن عميق ، فهبيت من حلمي لأستروح نسائم  
عطرية تحملها رياح الجنوب

فبعثت هذه النسائم الحلوة في قلبي آلام الحنين ، وترأت  
لي كأنها زفرات الصيف الماشق وهو يفتش عن نصفه الآخر  
ما كنت أعلم أن هذه الزهرة على خطوات مني ، ولأنها هي  
لي ، وأن هذه الحلاوة قد تفتحت في أعماق قلبي

— ٢١ —

لا بد أن أتناول غدائي على الشاطئ ، ومرت الساعات  
متباطئة على الشاطئ . فيا أسنى !

لقد تفتح الريح عن زهراته وأوراقه الخضراء ، وأنا أضرب  
في الأرض منتظراً وعلى كفتي حمل من زهراتي النابلة الداوية  
الأمواج تضطرب في صخب ، وعلى الشاطئ شجرات من  
الخوخ يانعة تعصف الريح بأوراقها الصفراء

لماذا تحرق في الفضاء ؛ أفلا تستشعر في الهواء هزات تحمل  
تقم لحن جاء في أضفافها من الشاطئ الآخر

— ٢٢ —

تحت ظلال نهر يوليه الطير ، تسير أنت في خطوات هادئة

## أبو إسحاق الصابى للأستاذ عبد العظيم على قناوى

- ١ -

ومحط أوصاب وآلام . وها هو ذا يشكو زماتته ، وآثار المهرم  
في كيانه وحاجته إلى محفة يتخذها بدل قدميه اللتين ناءتا بمجمله ،  
وشاركنا الدهر في استنقال ظله ، وقد يمت بقصيدته تلك إلى  
الشريف الرضى ، وقد كان يشفق عليه ويرحمه ، ويأسو كلومه  
ويرأمه ، قال منها :

إذا ما تعدت بي وسارت محفة لها أرجل يسمي بها رجلان  
وما كنت من فرسانها غير أنها وقت لي لما خانت القدمان  
نزلت إليها عن سراءة حصان بحكم مشيبي أو فراش حصان  
فقدحلت مني ابن تسعين سالكا سبيلاً عليها يسلك الثقلان  
كما حل الهدى الصبي وقبلها ذعرت ليوث الفيل بالزوان  
فجاءت مواساة الشريف له سخية وفيه ، وعطفه برأسها  
ضافياً ، فقد لأم جروحه بقصيدة تفيض بالمطف أشطارها وتقم  
بالود أبيتها منها !

لئن رام قبضاً من بنائك حادث لقد عاضنا منك انبساط جنان  
وإن بُز من ذلك الجناح مطاره فرب مقال منك ذى طيران  
وإن أقعدتلك النائبات فطالما سرى موقراً من مجدك الملوان  
وإن هدمت منك الخطوب بجرها فثم لسان للنقاب بان  
مآثر تبقى مارأى الشمس ناظر وما سمعت من سامع أذنان  
من هذه الآيات ندرت تماسته ويؤسه ، وتبين آلامه  
وأسقامه ، وما زال ينال الزمان وبجاله الحدائث حتى أراد الله له  
الدعة التي طالما تمنّاها ، وآتاه الطلبة التي كثيراً ما طلبها فمزت  
عليه . وافاه أجله وقد جاوز التسعين سنة حلب فيها الدهر أشطره  
فذاق شره مترعاً وقلما طعم خيره ، وشرب كئوس البؤس دهاقاً ،  
ولما ألم بالتميم ، ولقد كان في فتوته أسعد حالاً منه في كهولته  
وعاش في شببته أنعم بالأمنة في شيخوخته ، وإليك حديثه عن  
ذلك في خيال صاف ودياجة مطرزة :

عجياً لحظي إذ أراه مصالحى عصر الشباب وفي الشيب مغاضبي  
أمن التواني كان ؟ حتى ملني شيخاً ، وكان على صباى مصاحبي  
أمع التضضع ملني متجنباً ؟ ومع الترعزع كان غير مجانبى  
يا ليت صبوته إلى تأخرت حتى تكون ذخيرة لمواقبي  
وبعد تلك الالامة بحاله تتحدث عن نشأته وحياته : يروى  
يا قوت في معجمه أن أبا إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون ولد

بمثنى إلى الكتابة عن أبي إسحاق الصابى رغبة حافزة في  
أن أربط بينه وبين أبي الفرج البيناء أديبين عنى عليهما الدهر ،  
ثم أراد لأدبهما بيتاً ، كما ربطت بين روجيهما أوامر الأدب ،  
فتمارفا متباعدين وتآلفا متقاربين ، فقد قدّمنا أن الصلة بينهما  
كانت في الحياة وثيقة العرا محكمة الخلق ، لم تشبها شائبة حفيظة ،  
ولقد جعلني الحديث عن أبي الفرج على ذكر متصل بأبي إسحاق  
لا يبرح أفق تفكيري ولا يحيد عنه ، ولا يريم عن محيط ذهني  
ولا يقصو دونه . ولعل من أهم عوامل علوق اسمه بهذا كرتي ،  
ورسوخ شخصه في مخيلتي ، أن حظّه في دنياه كان كحظ صنوه ،  
بل إنه كان أسوأ من أخيه جداً وأنكد دهرأ ، وأتمس رجاء  
وأملأ ، فكلما تقدم به الأجل وأشرق له الأمل أدركته حرفة  
الأدب ، فتضاعف عليه الألم ، لا يفتنى عنه ما أوتى من ألمية  
نادرة ، ولا بصرف صروف الدهر دونه ما وهب الله له من مواهب  
فياضة زاخرة ، فغير الدهر تنصب عليه انصباباً ، ونوبه تتقاذفه  
تقاذفاً ، وأحداث الزمان تتعاوره كهلاً أناخ به الشيب ، وخطوبه  
تتناوبه شيخاً بما لا يقوى عليه الفتى الصليب . وهكذا دواليك :  
غمرات تترى ، ونكبات تتوالى ، ولا يجيد على تعاقب اللبالي  
الإضيا ، وتسومه الأيام بكرها خسفاً وظلماً ؛ حتى أنشد وأنشد  
وتعنى ، فكانت المنية هي أصدق للتي ، فله هو إذ يقول :

إذا لم يكن للمرء بد من الردى فأسهله ما جاء والعيش أنكد  
وأصعبه ما جاء والعيش رانع تطيف به اللذات والعيش مسعد  
فإن أك شر العيشتين أعيشها فإني إلى خير الماتين أقصد  
وسيان يوماً شقوة وسعادة إذا كان غيباً واحداً لهم القد  
وما زال هذا شأنه لا يحول حاله إلا إلى سوء ، وذلك ديدنه  
لا يتغير أمره إلا إلى غير ، وهو يتدب جده آناً وآناً ، ويشكو  
بؤسه حيناً وحيناً ، فلا يجيد لشكواه سكينه أو أوتاً ، ولا يعرف  
إلى الخلقين مهيماً أو سبيلاً ؛ حتى صار ملجأ أمراض وأسقام ،

واليوم الآخر... الخ الآية): (قوم يبيدون الكواكب ثم لهم قولان: الأول إن خالق العالم هو الله سبحانه، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم. والثاني: إن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الآلهة المدبرة لهذا العالم، ثم إنها تعبد الله سبحانه)

على هذا الدين ولد أبو إسحاق وعليه مات في عصر الإسلام فيه مزدهر والكلمة العليا له، والمكانة الكينية في العالم لرجاله، ولا فضل لمن لم يوله قلبه، ويهب له نفسه، وإن يقاهه على صابئته - على الرغم مما يحوطه ليدل أعظم الدلالة على أن الإسلام دين سمح، أساسه العفو والأمر بالعرف، والإعراض عن الشركين دون أن يصيبهم أذى، أو يتألم حيف، أو تحمل بهم تقمة مخلوق؛ لأنه دين العقل والحجة والمنطق والموعظة الحسنة، ولولا تسامح ذلك الدين القويم ما وجد مثل الصابي كفتناً يلجأ إليه أو وزراً يحميه، فكيف وقد عاشر الخلفاء والأمراء والملوك والوزراء؟ وكذلك عاش أمثاله في رغد ورفهية؛ عاشوا موفوري الكرامة مرفوعي الرءوس مجدودي الحياة؛ ولقد بُصِّر أبو إسحاق بالدين الإسلامي ورُغِبَ في الإسلام وألَّفَ قلبه، وأجزل له من أجل ذلك، فلم يهد الله قلبه للإيمان؛ لأننا لا نهدي من نجب، ولكن الله يهدي من يشاء؛ لذلك لم يصح بسمعه إلى دعوة اليقين والداعون إليها هم سادته ومواليه وأرباب نعمته ومالكوزمام أمره إن شاء وارفموه وأعزوه، وإن أرادوا وضعوه وأذوه. ولقد حدث التاريخ أن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة على أن يسلم، فأبأها مفضلاً أن يبقى على دين آيائه الغابرين؛ وإن وفاهه للمنه، وإخلاصه لنحلته لمصدر عجب لمن أراد العجب؛ إذ لم يعرف عنه أنه ارتكب أمراً حرم عليه، ولا جاء وزراً نهى عنه شرعه. ويروي المؤرخون أنه حضر مائدة للوزير المهلب بن أبي صفرة، وكان أبو إسحاق من خلانه الأدينين وخلصائه المصطفين، فامتنع عن لون من ألوان الطعام محرم لدى الصابئة، فقال له المهلب: لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء. فقال: أيها الوزير لا أريد أن أعصى الله في ما كوله، فكان موقفاً في إجابته مسدداً في مجابته. ويروي أن عز الدولة بختيار بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول

بحرآن سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة هجرية، وأدركته منيته لانتقى عشرة ليلة خلت من شهر شوال لسنة أربع وثمانين وثلاثمائة؛ فسنة على هذه الرواية إحدى وسبعون سنة، وهو يقول في تميز روايته تلك: (وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه «يعني كتاب يتيمة الدهر» أنه بلغ من العمر تسعين سنة والذي أوردته من تاريخ حفيده، وهو به أعلم) ويقصد بحفيده أبا الحسين هلالا بن المحسن بن إبراهيم الصابي، ويُعَبِّب الأستاذ شارح معجم الأدباء على ياقوت فيقول: (إنما قال الثعالبي إنه خنق التسعين أي قاربها) <sup>(١)</sup> والحق أن الثعالبي ذكر ابن أبي إسحاق في موضعين فقال في صدر الحديث عنه، وهو بصدد التعريف به (وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء) ثم قال في نهاية الفصل الذي كتبه عنه تحت عنوان وفاته (توفي في يوم الخميس لانتقى عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قرية)

وإني إلى تحقيق الثعالبي أميل لوجوه أعدد منها:

أولاً: يكاد أبو منصور الثعالبي يعتبر معاصراً لأبي إسحاق الصابي، فقد توفي أبو منصور عقبه بنحو خمس وأربعين سنة، وهو أمد قصير في أعمار التاريخ والمؤرخين  
ثانياً: السن التي ذكرها صاحب اليتيمة وردت في قصيدة لأبي إسحاق إذ يقول:

فقد حملت مني ابن تسعين سالكا سبيلا عليها يسلك الثقلان  
وقد كان إنشاء هذه القصيدة قبل وفاته بنحو أربعة أشهر  
ثالثاً: قد يكون حفيد أبي إسحاق صادراً في حديثه عن غير  
تروية وتدبر للحقيقة، لأنه حديث يسمع وينسى لا كما يصدر حديث  
من مؤلف يتحرى الصدق ويلتزم جادة الدقة؛ لأنه خير بخلد ويدي  
رابحاً: سن السبعين لا توهي جلدأ ولا توهن عظام، وإن كان  
صاحبها مترامحة عليه النابيات مولمة به التكببات إلا في القليل النادر  
وسواء أكان موته عن إحدى وتسعين أم عن إحدى  
وسبعين فقد خلف في الأدب أخلد الأثر، وضرب في النبيل  
والوفاء أصدق المثل، فلقد ولد ومات على دين الصابئة، والصابئون  
كما يقول الامام الكبير الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: «إن  
الدين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله

يجفه الصاحب بن عباد ، ولعل الأدب هو الذى قرب بين نفسيهما وألف بين روحيهما ، فلم تقع بينهما نبوة ، ولا لحق صداقتهما جفوة ، فكثيراً ما بشه شكواه ، واستمطر غيظه وكان موضع نبجواه ، ولقد كان أول أمره بأنف أن يتصل بالصاحب مادحاً أو أن يطلب صلته ما نحا ؛ حتى استوزر الصاحب فنزل عن أنفته وقنع من مطاوكته بمصاحبته ، وكان الصاحب يعجب به أشد الإعجاب ، ويراها أحد أفذاذ الأدب ، فقد حدث عنه أنه كان يقول : « كتاب الدنيا ويلغاه المصراع أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابى ولو شئت لذكرت الرابع » وكان يعنى بالرابع نفسه . ويقول الثعالبي « وأما الترجيح بين هذين الصديقين أعنى الصاحب والصابى في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون ، وأخب فيه المحبون ، ومن أشف ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد ، وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الخالين بون بعيد » وأحسب أنه يقصد تفضيل الصابى لأن الذى يستطيع أن يكتب ما يراه منته ويؤمر به لا شك يستطيع أن يكتب ما يريد هو ، وعلى هذا فقد برع في التاحتين وفاق صاحبه فيما قصر فيه ، وإلى أمد قاصد نكمل عنه الحديث متناولين جزءاً آخر من تاريخه الأدبي

عبد العظيم على تباري

## الحاكم بأمر الله

### وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

وهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله ، وشخصيته العجيبة ، وحياته الدهنة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ؛ وعن أسرار

الدعوة الفاطمية وبجائس الحكمة الشهيرة

مجلد في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير

مطبوع أجود طبع ومزين بالصور التاريخية

ثمنه ٣٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج

ويطلب من المؤلف بعنوانه يشارع إلهامى نمرة ٢١

والمكتبة التجارية ومكتبة النهضة بشارع الدباغ

وسائر المكتبات الأخرى

وهو مما يحرم كله أيضاً في دينه ، فرفضها متمفقاً وهو الفقير إليها فأين منه أولئك الذين لا يتفاهون عن منكرات يجترمونها ، ولا يتعففون عن محرمات يجترحونها غير مباليين ما ينتظرهم من حساب شديد وعذاب أليم ؟ وآية نبهه أنه مع تعصبه هذا وتشده وتزمته في دينه كان جيل البشرى للمسلمين صادق الإخاء كريم الصنيع حسن المونة ، فكان يصوم رمضان لا تحتكاً بل تجملاً ، ويحفظ القرآن الكريم إجلالاً له وعرفاناً بخطره ؛ لأنه رأى فيه مهبط الحكمة ومصدر البلاغة ، ومشرع السن والفصاحة ، فظهر أثر ذلك على أسلته يراعه ، وجرى على عذبة لسانه . وإليك ما يقوله أبو منصور الثعالبي في بيمته عنه في تلك الناحية من خلقه وأدبه : « كان يماثر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكارع أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه وسن قلبه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان وحلاها بآي من القرآن ) ومن آيات وقائه ونبله أنه كان صديقاً ودوداً للشرى الرضى حتى أنهم بأنه يدعوه بالخلافة ، ويتمنى أن ينال مطمحهم ويدرك مأربه ، وهو لم ينف ذلك عن نفسه ، بل إنه جهر به في قصيدة بمت بها إلى الشرى ، وهو لا يبد عالم بوقعها في نفوس أعدائه وحاسديه ، ولكنه لم يعبأ بما قد يصيبه بسببها ، لأنه أسير وجدانه ، وينطق إذ ينطق عن شعوره وإحساسه ، وما عليه إذ يرضيهما من بأس ، وهذا بعض ما قاله فيها :

أبا حسن لى فى الرجال قراسة تعودت منها أن تقول فتصدقا  
وقد خبرتني عنك أنك ماجد سترقى من العلياء أهد مرتقى  
فوقيتك التعظيم قبل أوانه وقلت أطل الله للسيد البقا  
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها إلى أن أرى إطلاقتها لى مطلقا  
فإن عشت أو إن مت فأذكر بشارتى

وأوجب بها حقاً عليك محققاً

وكن لى فى الأولاد والأهل حافظاً

إذا ما اطمان الجنب فى موضع البقا

ولقد كان مع هذا محبباً إلى الخلفاء والوزراء ، كلهم يطلب يده ويتغنى أن يقصر خدمته عليه دون غيره ، فمنهم من كان يسلك إلى إدرته طريق البذل والرغد ، ومنهم من كان يطرق سبيل العقوبة والحقد ، فماش محسداً إن رضى عنه وزير غضب عليه آخر ، وإن صفاله أمير جفاه خليفة . ومن اصطفاه ولم يجتوه وأجبه ولم

عالم سعيد ، وراحت أصله تعبت بما على الكتب من أشياءه ،  
ثم قال : « أرايت القلم الذي تراءى لى السحاب الأحمر فى رصابه  
بين عينيّ والمصباح ... ؟ » ثم دس يده فى درج الكتب فأخرجه  
ودفنه إلىّ وهو يقول : « ضع النصاب بين عينيك والمصباح  
وانظر . ألت ترى سحاباً يتفرق بالدم كأن قلباً جريحاً ينزف ؟  
فى شعاة هذا النور تراءت لى هذه الخواطر التى تقرؤها فى  
السحاب الأحمر ... » ثم عاد إلى الصمت ولم أعد إلى السؤال ...

\*\*\*

أحسب أن الراضى حين أنشأ السحاب الأحمر كان فى حالة  
عصية قلقه لست أعرف ما تأها ومردها ، ولكن فصول  
الكتاب تتحدث عن خبرها فى شىء من الغموض والإيهام  
لقد أنشأ الراضى رسائل الأحزان ليكون رسالة إليها يتحدث  
فيها عن حبه وآلامه ؛ ولست أشك أن صاحبه حين تأدّت  
إليها رسائله قد فهمت ما يعنيه وعرفت ذات صدره ، وأحسبها  
— وهى الأديبة الشاعرة — قد سرّها أن تكون هى فلّك  
الروحى لما فى رسائل الأحزان من كل معنى جميل . أفتراها قد بدا  
لها أن تهيجه بالدلال والإغراء وقسوة العتب وتصنع الغضب  
لتفتته وتريده وحياً وشعراً وحكمة ... ؟

إن كانت هذه رسالتها إليه فأراها قد بلغت بها إلا أن حاجت  
كبرياءه وأثارت نفسه ، فكتب كتابه ولكن انير ما أرادت  
وما قصدت إليه ...

\*\*\*

يقوم السحاب الأحمر على سبب واحد ، يدور حول فلسفة  
البفض ، وطيش الحب ، ولؤم المرأة ... !  
على أن كل ما فيه لا يشير إلا لمنى واحد : هو أن قلباً وقع  
فى أسر الحب يحاول الفكك فلا يستطيعه ؛ فابملك إلا أن  
يصيح بجل ما فيه : إننى أبفضك أيتها ... أيتها المحبوبة !

وكما يفزع الشخص إذا حزبه أمره إلى أصدقائه يستعينهم  
ويستلمهم الرأى فى بلواه ، كذلك فزع الراضى فى السحاب  
الأحمر ، ولكن إلى أصدقاء من غير طاله يستعينهم على أمره ؛  
فهذا صديقه الشيخ على صاحب الساكن ، وهذا صنيته  
وصاحب نشأته الشيخ أحمد الراضى ؛ وذلك أستاذه ومثله العالى

لأرب والتاريخ

## مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

- ١٦ -

—&gt;&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;&lt;—

« لا يصح الحب بين اثنين إلا إذا أمكن لأحدهما أن يقول  
للآخر : يا أنا ... ومن هذه الناحية كان البفض بين الحبيين  
— حين يقع — أخف ماى المحسومة ، إذ هو تقابل روحين  
على تحليل أجزاءهما المترجة . وأكبر خصيتين فى عالم النفس  
( هما ) متعايان تباعضاً ... » ( الراضى )

## السحاب الأحمر

ترى ماذا كتبت إليه صاحبه بمد ما قرأت رسائل الأحزان  
فأثارت نفسه بمد هدأها وردته من الفيظ والحنق إلى أن يقول :  
« يا هذه لا أدرى ما تقولين ؛ ولكن الحقيقة التى أعرفها : أن  
نفس المرأة إذا اتسخت كان كلامها فى حاجة إلى أن يفسل بالماء  
والصابون وهبات .. » ويقول : « يجب على المدارس حين  
تعلم الفتاة كيف تتكلم أن تعلمها أيضاً كيف تسكت عن بعض  
كلامها » ؟

من لى بأن أعرف ما كان وقع رسائل الأحزان فى نفسها  
وما ردّت به ؟

إنه يتحدث فى السحاب الأحمر عن التهمة والظنون ،  
والكلام الذى لا يشله الماء والصابون ، والنجمة الهاوية ، وخداع  
الذنر فى الحب ، وفساد الرأى فى الهوى ، وطيش القلب فى الاستسلام ،  
ثم ... ثم يحاول أن يتندر ... !

هنا الحلقة المفقودة فى تاريخ هذا الحب ، فلتست أدعى المعرفة ؛  
ولقد كنت مع الراضى مرة فى مكتبه وبيننا السحاب الأحمر يقرأ  
لى بعض فصوله ، فأشرت إليه عند فقرة من الكلام ليجيبني عن  
سؤال يكشف عن شىء من خبرها ومن خبره ؛ فوضع الكتاب  
إلى جانبه وحدّق فى طويلاً ثم سكت ، وسبحت خواطره إلى

أو أنه أراد أن يتخذ كبريائه فيزعم لصاحبه أنه لم يكن يعينها برسائل الأحزان ، لأن هنالك أخرى ...

\*\*\*

وتقرأ « النجمة الهاوية » في الفصل الثاني ، قسمه يقول : « تتم آمالنا حين لا تؤمل ! » فأتشك أن هنالك رسالة إليها ، رسالة يملها الحب النقيض المحقق ، يحاول فيها أن يوهما أنها لم تمد شيئاً في نفسه ، وأنه قد تمت آماله واستراحت نفسه فليس له فيها أمل ولا يتعلق بها رجاء ؛ ثم يستطرد في معاني البغض والهجر والقطيعة بأسلوب قاسٍ عنيف ، ولكن قلبه العاشق الفتون ينبض في كلماته ؛ فإينتهي الفصل حتى يستعلن حبه من وراء كلمات البغض وهو يقول : « أشأم النساء على نفسها من لا تُحِب ولا تُبغِض ، وأشأمهن على الناس من إذا عدت مبغضتها لا تمد إلا الذين أحبواها ... ! » وإني لأعرف الراجي وأستمع إلى همسات قلبه ، فهل ترى ترجمة هذه العبارة إلا أنه يقول : « إني أحبك يا أشأم النساء ! » ؟

اقرأ في آخر هذا الفصل الصاحب قوله :

يا من على الحب ينسانا ونذكركه لسوف تذكركنا يوماً وننساك  
إن الظلام الذي يجلوك يا قمر له صباح متى تدركه أخفاك

\*\*\*

ويتحدث في الفصل الثالث عن السجين تحمله عربة السجناء إلى قضائه ، وزوجته التي تحبه تشبهه بنظراتها الجازعة ؛ فتعرف من وصفه لساعة الفراق بين الزوجين الحبيبين ، أي خاطرة في الحب ألهمته هذا الفصل البديع ، وكأنك تسمع الراجي يتحدث فيه عن نفسه مما فعل به الفراق : « ما الفراق إلا أن تشمر الأرواح المفارقة أجسدها بمسّ الفناء لأن أرواحاً أخرى فارقتها ؛ ففي الموت يمسي وجودنا ليتحطم ، وفي الفراق يمسي ليلتوي ؛ وكأن الذي يقبض الروح في كفه حين موتها ، هو الذي يلمسها عند الفراق بأطراف أصابعه !

« وإنما الحبيب وجود حبيبه لأن فيه عواطفه ؛ فعند الفراق تنتزع قطعة من وجودنا فنرجع باكين ونجلس في كل مكان محزونين كأن في القلوب معنى من الناحية على معنى من الموت .. » ... ترى العمر يتسلل يوماً فيوماً ولا نشعر به ، ولكن متى

في دينه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ؛ وهذه أم ضل ولداها الحبيبان ، وتلك زوج يفارقها زوجها الحبيب إلى السجن ؛ وهذا ، وهذه ، وتلك ، يتحدثونه جميعاً حديثهم عن الحب في رأي العين ، وفي رأي القلب ، وفي رأي العقل ، ويحدثهم حديثه ... فما تلمح من أحداث هؤلاء جميعاً إلا أن الراجي في جهاد عنيف بين قلبه وعقله ، يريد أن يثبت الغلبة لعقله على هواه ليخرج من أمر صاحبه برأيه وفكره وكبريائه ، ثم لا تكون الغلبة في النهاية إلا للحب على رأيه وفكره وكبريائه

على أن كتاب السحاب الأحمر ليس كله خالصاً لصاحبه وإن يكن من وحيها ؛ ذلك أن نسقه العجيب ، ومحاولة الراجي به أن ينصرف عنها ، قد شرع له في الكتاب مسالك من القول لم تكن مما يقتضيه ما بينه وبين صاحبه

\*\*\*

في الفصل الأول من السحاب الأحمر ، يتحدث الراجي عن فتاة « عرفها قديماً في ربوة من لبنان ، ينتهي الوصف إلى جمالها ثم يقف ! » وهو يعني صاحبه التي أملت عليه « حديث القمر » وإنك لتقرأ حديثه عنها ، ووصفه لها ، وما كان من أروها في نفسه ؛ فتسأل نفسك : أي شيء رده إلى هذه الذكرى البعيدة فأيقظها في نفسه بعد اثنتي عشرة سنة عما الزمان بها في قلبه وأثبت ؟ فلا تلبث أن تجد الجواب في الأسطر الأخيرة من هذا الفصل :

« إن من النساء ما يُفهم ثم يعلو في معانيه الجميلة إلى أن يمتنع ، ومن النساء ما يُفهم ثم يسفل في معانيه الخسيسة إلى أن يتنذل ...

« إن من المرأة ما يُحِب إلى أن يلتحق بالإيمان ، ومن المرأة ما يُكفر إلى أن يلتحق بالكفر ...

« من المرأة حلوة لذيذ يؤكل منه بلا شبع ، ومن المرأة مُرّة كرهه يشبع منه بلا أكل ... ! »

أترأه بهذا يوازن بين واحدة وواحدة ، ليقول لهذه : إن تلك كانت خيراً منك ؟ وهل تحسبه كان يعتقد ذلك ؟ أما أنا فأعرف من أخلاق الراجي أن هذا معنى لم يكن يعنيه ، ولكنها مساومة في الحب يريد بها أن يهيج غيره صاحبه ليردها إليه ،

الحوار إلى التجوى بينه وبين نفسه ، وإلى الصراع بين عقله وهواه  
إن الراجي بكبريائه وخلقه ودينه واعتداده بنفسه ، لم يخلق  
للحُب ، ولكنه أحب ؛ فمن ذلك كان حبه سلسلة من الآلام ،  
وصراعاً دائماً بين طبيعته التي هو بها هو ، وفطرته التي هو بها  
إنسان . وإنك لتلح هذا الصراع الدائم في كل فصل من فصول  
السحاب الأحمر

\* \* \*

وفي كتاب السحاب الأحمر ، تقرأ رأي الراجي في القضاء  
والقدر ؛ وإنه ليشمرك برأيه ذلك مقداراً ما فعل به الحب وما فلَّ  
من إرادته ، فتراه يؤمن بأن الإنسان في دنياه ليس له كسبٌ ولا  
اختيار فيما يتمل ، ولكنه قضاء مقدور عليه منذ الأزل لا طاقة  
له على الفكك منه ؛ وإنه على ذلك لموقن بأن لله حكمة فيما قضى  
وقدر وإن دقت حكيمته على الأفهام :

« ألا يا ماء البحر ، ما أنت على أرض من الملح ؛ فبماذا أصبحت  
زُعاقاً لا تحلو ولا تُساغ ولا تُشرب ؟ إنك لست على أرض من  
الملح ولكنك يا ماء البحر ذابت فيك الحكمة السليحة ... »<sup>(١)</sup>

\* \* \*

قلت في مقال السابق : إن رسائل الأحران عند أكثر  
قراء العربية هو شيء من البيان المصنوع تكلفه كاتبه ليحاول به  
أن يستحدث فتاً في العربية لم يوفق إلى تجويده ... لأنه بقية  
قصة لم تنشر معه - هي قصة غرام الراجي - نجاء كما نأكل  
النار كتاباً من عيون الكتب فاتبني منه إلا على الهامش والتعليق  
وصلب الكتاب رماد في بقايا النار

أما السحاب الأحمر فهو كتاب كامل . احذف منه فصلاً  
أوفصاين في أوله ، وشيئاً من فصول القول في سائرهِ ، تجد فتاً في  
العربية لا يقدر عليه إلا الراجي ، فجرّده من قصته أو انسبه إليها  
فإنك واجد فيه أدباً يستحق الخلود ، وبياناً يزهي على البيان ، وشمرأ  
وحكمة مازال الأدباء يدورون عليها حتى وجدوها في أدب الراجي

\* \* \*

في رسائل الأحران أراد الراجي أن تعرف صاحبه من حاله  
ومن خبره ما أراد ، فأغراها بالترفع والدلال عليه . وفي السحاب

(١) إلى الآنسة أ . ش : أن تمراً هذه الفترة من كلام الراجي ؛ فإن  
فيها الجواب عن بعض سؤاها ، وشفاها الله !

فارقنا من نحبهم ببه القلب فينا بفتة معنى الزمن الراحل ، فكان  
من الفراق على نفوسنا انفجاراً كتطايير عدة سنين من الحياة ... »

\* \* \*

ويتحدث في الفصلين الرابع والخامس عن تجارة الحب<sup>(١)</sup> ،  
وعن المناق ، فتلح من وراء حديثه معنى لا يريد أن يفصح عنه ،  
وإنه ليسبب مما كان بينه وبين صاحبه ؛ أفتراه يشير به إلى شيء  
من أسباب القطيعة ؟

وفي الفصل السادس يتحدث عن حب الأم في قصة والدة  
ضل ولداها الصغيران ثم اهتدت إليهما :

« الحب - ما الحب إلا لهفة تهدير هديرها في الدم ، وما  
خلقت لهفة الحب أول ما خلقت إلا في قلب الأم على طفلها ...  
حب الأم في التسمية كالشجرة : تفرس من عود ضعيف ، ثم  
لا تزال بها الفصول وآثارها ، ولا تزال تتمكن بجذورها وتمتد  
بفروعها حتى تكتمل شجرة بعد أن تفتي عداد أوراقها ليالي  
وأياماً . وحب الماشقين كالثمرة : ما أسرع ما تنبت ، وما أسرع  
ما تنضج ، وما أسرع ما تقطف ؛ ولكنها تنسى الشفاء التي  
تذوقها ذلك التاريخ الطويل من عمل الأرض والشمس والساء  
في الشجرة القائمة

« لا لذة في الشجرة ولكنها مع ذلك هي الباقية وهي المنتجة ، ولا  
بقاء للثمرة ولكنها على ذلك هي الحلوة وهي اللذيذة وهي المنفردة باسمها  
« وهكذا الرجل أغواه الشيطان في السماء بثمره فنسى الله حينئذ ،  
ويفويه الحب في الأرض بثمره أخرى فينسى معها الأم أحياناً ؛ »

\* \* \*

وتراه في الفصول الثلاثة الباقية كأنما يحاول أن يروض نفسه  
على السلوان ، ويقنمها بأن الحب ليس هو رجولة الرجل ، وليس  
هو إنسانية الإنسان ، وليس هو كل ما في الحياة من لذة ومتاع ،  
في كلام يجريه على ألسنة شيوخه وأصدقائه : الشيخ على ، والشيخ  
أحمد ، والشيخ محمد عبده ؛ يحاورهم ويحاورونه ، فتسمع في هذا

(١) هذا الفصل في السحاب الأحمر بعنوان « الربطة » كتبه الراجي  
عن صديق من خريجي جامعات أوروبا ، هو الدكتور فلان ، وكان في صدر  
شبابه - كما كثر واردات أوروبا - زينا في الدين ، وزينا في الخلق ،  
وزينا في الرجولة ؛ على أنه الآن من أكثر السليين حية لدينه وحفاظاً  
على تراث قومه ؛ وله مقالات في الإسلام وفي الرد على بعض جهال  
المستشرقين تنفع له يوم الدين

## فلسفة التربية

كما يراها فمؤسفة الغرب

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢ —

« الفلسفة بوجه عام هي المحاولة المتكررة للوصول إلى معرفة متظمة مفهومة لصور وعلاقة ومعنى ومحول الأشياء »  
« بولزن Paulsen »

—>>><<<—

عقول المفكرين . وإذن فلم يكن « الطبيعيون الأولون » عنده إلا فصلا في تاريخ العلم ! أما الفسطائيون وسقراط ، فأولئك هم الذين اضطرتهم شئون التربية في عهدهم إلى أن « يتفلسفوا » ! فكان لنا منهم كلام في التربية تأدى بهم إلى كلام في الفلسفة ! ! ومهما يكن من أمر هذه المبالغة الظاهرة في كلام « ديوي » فلا شك أن التربية لا تستطيع أن تستغني قط عن الفلسفة ، لا في غاياتها ولا في تقدير وربط نتائج علومها الكثيرة بعضها ببعض . بل نحن إذا نظرنا في مسائل الفلسفة الكبرى وجدنا أن أغلبها يقوم محورا لعملية التربية ذاتها<sup>(١)</sup>

ولقد كانت الفلسفة إلى ما قبل « العلم التجريبي » مجرد نظريات ومبادئ تخوض في متاهات ميتافيزيكية كثيرة . أما اليوم بعد أن نجح هذا العلم في اقتناع العالم بنجاحه وجدارته ، وبعد أن اتجهت أمربكا على الخصوص آجها « عمليا » في فهم الكون وتقدير القيم المختلفة للوجودات - فقد أصبحت (الفلسفة) تسير في التربية على الضوء الذي يبعثه العلم ولا تكاد تميل عنه إلا قليلا ، وبالأحرى هي كذلك لدى (جون ديوي) ومدرسته . فهي كما يقولون لا تستطيع أن تفهم الوجود بأكثر مما يسمح به الواقع المحدود !! وهي « في التربية » تأخذ ذلك « الواقع المحدود » من علوم الحياة ، ووظائف الأعضاء ، والنفس ، والاجتماع ، وتاريخ الثقافة والسياسة والتربية والفن والدين ، ثم تكون منه نظرة كلية فيها شرح وتفسير وتقييم وتشريع !

وإذن ففلسفة التربية في هذا المذهب لا تكاد تعدو أن تكون النظرية العامة التي تجد تطبيقاتها في عملية التربية بجميع نواحيها ذلك أنها تتالج التربية كوظيفة ضرورية غير منفصلة عن الحياة بحكم طبيعة الحياة نفسها ، وتنقد وتشرح الطرق والمواد المستعملة في هذه العملية على أساس تلك الوظيفة الآتفة ، وتمدنا بالأسول التي تجعل التربية فعالة ، وتوضح المبادئ التي تنفث الحياة في مصالح الجماعة والتي تبرر النظام القائم أو لا تبرره ، كما تعطى الجماعة ذاتها شعورا شاملا قويا بمعنى الأساليب المختلفة التي تبشرها في تدريب أعضائها ، وبأساس هذه الأساليب وقيمتها

(١) فعلا العلاقة بين الروح والجسم ، وبين العلم والأخلاق ، وبين الفرد والجماعة ، ومسألة المعرفة ذاتها و... الخ كل ذلك مما تناوله الفلسفة والتربية معا .

رأيت في المقال السابق ذلك « التقدير التزيه » الذي تقوم به الفلسفة عملية التربية ، وتبينت إلى أي حد ترتفع التربية بذلك « التقدير » وتسمو على سائر التجارب الإنسانية . وأحب اليوم أن أنتقل بك إلى العلاقة بين الفلسفة والتربية ، وإلى فحوى فلسفة التربية لدى الإنجليز والأمريكيين على الخصوص ، تمهيدا للكلام على مسائل أخرى تختص بأعراض التربية ومنهجها ، وتطبيقات العلم والديمقراطية عليها

العلاقة بين الفلسفة والتربية قوية إلى أبعد حد . بل إن « جون ديوي » الفيلسوف الأمريكي الذي يحمل لواء التربية في هذا العصر يذهب إلى القول بأن الفلسفة اليونانية - وهي أول فلسفة دقيقة معروفة - لم تنشأ إلا من ضغط مسائل للتربية على

الأحر حاول أن يشمرها أنه قد فرغ من أمرها وفرغت من أمره فالها عنده إلا البغض والإهمال ، وماله عندها إلا اللفة على ما كان من أيامه . أفتراه في السحاب الأحمر قد بلغ ما أراد ؟

هيهات أن يخنى الهوى !

استمع إليه يحاول أن يهيج فيها الغيرة ويبت اللفة ويوقظ الحنين ويؤرث البغضاء وبشر الندم ؛ فلا يكاد يبلغ آخر الرسالة حتى ينسى ما قصد إليه ليدع لقلبه أن يقول :

وبلى على متدلل ما تنفضى عنى فنونه

كيف السُّلُوُ وفي فؤا دي لا تفارقني عيونه؟!!

رحمك الله يا صديقي !

محمد سعيد الصيربانه

« شبرا »

(\* ) إلى ( دمشق ) : إن صاحبة الرافعي هي التي عرفت

إلى ضرورة إشراك العمل مع النظر في التربية ، وإلى بث روح التعاون بين الطبقات ، وإلى العناية بعلوم الطبيعة وعدم الاقراط في التخصص الذي يجمل من الآلة إلهاً جباراً . هذا إلى جانب غرس الذوق السليم ، وممارسة التبادل والاسفاف والترف القيت وإضاعة الفراغ في غير متعة بريئة ، وإلى جانب التحذير الدائم من عواقب التسفات الرأسالية

أما من حيث الاتجاه الثالث ( اتجاه العلم التجريبي ) فنراه يلح في نبت تلك « السلبية » البفيضة التي قد أوقفنا وما زلنا نوقف فيها الطفل إزاء عملية المعرفة ، ويدعو بقوة إلى جعل التعليم عملية ( كشف ) يدرّب فيها الطفل حواسه وقواه العقلية ويعضّي فيها كما سيمضي غداً في الحياة ، يفترض الفروض أمام المشكلات ويجرب ويحقق آناً بنفسه وآناً بإرشاد الأستاذ ، ذلك إلى حصر الدراسة في المواد التي يحتاج إليها المصّر الراهن من ناحية ، والكامل الانساني من ناحية أخرى .

« يتبع » محمد حسن فاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الاميرية

ولئن قال قائل إن التفكير غالباً ما يولى هارباً تحت ضغط الحوادث تازكا العمل للماطفة ، أو الانفعال ، أو الضرورة الغالبة بحيث أنا لا نستطيع دائماً « التفلسف » في أساليب حياتنا : فالجواب هو أن التفكير لا يزال بالرغم من ذلك الأداة الوحيدة التي نخرجنا من الأزمات بما يقدمه من حلول ممكنة ، ووسائل محتملة ، ثم هو وإن كان لا يبخن قيماً جديدة فهو على كل حال يميز بين القيم المختلفة ، ويقدم لنا تلك التي توصلنا أكثر من غيرها إلى غايتنا

وإذن فالترية القائمة على غير فلسفة تستندها تكون كالسارى بالليل من غير دليل ، والترية القائمة على فلسفة خاطئة مصيرها الفشل المحتمل ...

والأمر في الفرد والمجتمع على السواء . فلكل فرد فلسفته الخاصة في الحياة . ولكل جيل أو مجتمع نظريته العامة التي يطبقها في سلوكه ؛ وعلى قدر دقة هذه النظرية وصحتها يكون النجاح أو الفشل ، والسعادة أو الشقاء (١)

### كلمة فلسفة التربية الحديثة في اتجاهات اليوم

وإذا كان المصّر الحاضر يمتاز بثلاثة اتجاهات أساسية هي : الديموقراطية ، والصناعة والتجارة ، والعلم التجريبي ، فإن الأستاذ « جون ديوى » عند ما يكتب عن « فلسفة التربية » ( في دائرة معارف التعليم للأستاذ منرو ) لا يكاد يخرج عن هذه الاتجاهات الثلاثة . فنراه من حيث الاتجاه الأول ( الديموقراطية ) يتنادى بتعليم الجميع ويتساويهم في فرصة إظهار كفايتهم الخاصة حتى يملك فتح التعليم بالذكاء والتبوع على نحو تعبير « ويلز » القصصي الفيلسوف ، كما نراه يتنادى باحترام الفرد ولكن على أن يؤدي واجبه في المجتمع وهو راض مطمئن

وهو من حيث الاتجاه الثاني « الصناعة والتجارة » يدعو

(١) فلا تستند الفاشية في إيطاليا إلى فلسفة هيجل Hegel التي تؤدى إلى جعل سلطة الحكومة مطلقة . وينبع هذه الفلسفة في إيطاليا Georanni Gentile ( أنظر كتاب البر برسي Epucation - its Dada and First principles )

« وقول الأستاذ ولم جيمس في أول كتابه ( البراجماتزم ) قلا عن شيترون « هناك كثيرون - وأنا واحد منهم - يعتقدون أن أم شيء في الرجل هو نظرية للسكون ... ولا شك أن أم ما يجب معرفته عن عدونا هو فلسفة لا عدده وعدته » أنظر كتاب الأستاذين ( روس وفنى ) في فلسفة التربية الاجتماعية

## الطرائف الأدبية

بمجموعة من الشعر تتألف من قسمين

القسم الأول : ديوان الأفوه الأودى وديوان الشفري  
وتسع قصائد نادرة

والقسم الثاني يشتمل على : ديوان ابراهيم بن العباس  
الصولى والمختار من شعر المتنبي والبحترى وأبي تمام للامام  
عبد القاهر الجرجاني

صححه وخرجه وضبطه

الأستاذ عبد العزيز المينى

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر في نحو ٣١٠ صفحة  
ومثته خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩  
بشارع الكرداسى بعابدين بمصر والمكاتب الشهيرة



من اللبن ، وتروى من النبيذ<sup>(١)</sup> ، ونام في الشمس فات ؛ سقيا  
الله شبعان ريان دفيئا

٣٢٤ - طلعمها كأنه رؤوس الشياطين

في (الكامل) : التشبيه جار كثير في كلام العرب حتى لو  
قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد . قال عز وجل وله المثل الأعلى :  
( الزجاجة كأنها كوكب دري ) وقال : ( طلعمها كأنه رؤوس  
الشياطين ) . وقد اعترض معترض من الجملة الملحقين في هذه  
الآية فقال : إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها  
فكيف يقع التمثيل بها ؟ وهؤلاء في هذا القول كما قال الله :  
( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأنهم تأويله ) . وهذه الآية  
قد جاء تفسيرها في ضريين : أحدها أن شجراً يقال له : ( الآسنة )  
منكر الصورة يقال لثمره : رؤوس الشياطين ، وزعم الأصمى أن هذا  
الشجر يسمى الصوم<sup>(٢)</sup> . والقول الآخر - وهو الذي يسبق إلى  
القلب - : إن الله شنع رؤوس الشياطين في قلوب العباد ، وكان  
ذلك أبلغ من العناية ، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس<sup>(٣)</sup>

٣٢٥ - إلا التنقل من حال إلى حال

في ( تاريخ الطبري ) : قال أبو العتاهية : وجه إلى المأمون  
يوماً فصرت إليه ، فألفيته مطرقاً مفكراً ، فأحجبت عن الدنو  
منه في تلك الحال ، فرفع رأسه فنظر إلى ، وأشار بيده أن ادنُ  
فدنوت ، ثم أطرق ملياً ، ورفع رأسه فقال : يا أبا إسحق ، شأن  
النفس الملل وحب الاستطراف ، تأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة .  
فقلت : أجل يا أمير المؤمنين ، ولي في هذا بيت . قال : وما هو ؟ قلت :  
لا يصلح النفس إذ كانت مقسمة

إلا التنقل من حال إلى حال

(١) في المحكم : إنما سمي نبيذاً لأن الذي يتخذة يأخذ تمراً أو زبيباً  
فينبذه في وعاء ، أو سقاء عليه الماء ويتركه حتى يفور فيصير مكرراً ، والنبيذ  
الطرح ( التاج ) ويقال للخمر المعتصر من العنب نبيذ كما يقال لنبيذ خمر  
( النهاية ) (٢) الصوم : شجر على شكل شخص الانسان  
(٣) قال ابراهيم بن اسماعيل الكاتب لأبي عميد : قال الله : ( طلعمها ... )  
وإنما يقع الوجد والاياء بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فقال : إنما كلم  
الله العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس :  
أفتلتني والشرقي مضاجعي وسنونة زرق كأنياب أغوال  
وهو لم ير النول قط ولسكنهم لما كان أمر النول يهولهم أوعدوا به  
( نزهة الالباء للإبياري ) وقيل : كأنه رهوس حيات فان العرب تسمى  
بعض الحيات شيطاناً ؛ حية له عرف فيبع النظر ( السان )

قوم لو أنهم ارتاضوا لما قرضوا

أو أنهم شعروا بالنقص ماشعروا<sup>(١)</sup>

لا يحسن الشعر ما لم يُسترق له

حرّ الكلام ، وتستخدم له الفكر

أنظر تيجد صور الأشعار واحدة وإنما ليعان تمشق الصور

٣٢٢ - اختيار الوزن والقافية

قال صاحب في رسالته (الكشف عن مساوي شعر  
المتنبي) : كنت أقرأ على (الأستاذ الرئيس ابن العميد) شعر ابن  
المتنبي متحيراً الأنفس فالأنفس ، فابتدأت قصيدة على اللبيد  
الأول<sup>(٢)</sup> ، فرسم تجاوزها ، وقدّرتة يحفظها ولا يرضاها . فسألته  
عنها ، فقال : هذا الوزن لا يقع طلبه للمحدثين جيد الشعر .  
فتبعت عدة قصائد على هذا الضرب فوجدتها في نهاية الضعف .  
وسمعت (أيده الله) يقول : إن أكثر الشعراء ليس<sup>(٣)</sup> يدرون  
كيف يجب أن يوضع الشعر ، ويبتدأ النسيج ، لأن حق الشاعر  
أن يتأمل النرض الذي قصده ، والمعنى الذي اعتمده ، وينظر في  
أى الأوزان يكون أحسن استمراراً ، ومع أى القوافي يحصل  
أجل اطراداً ، فيركب مركباً لا يخشى انقطاعه والتياه عليه

٣٢٣ - فلقى الله شبعانه ريبانه دفيئا

قال أعرابي وهو يدعو الله يباب الكعبة : اللهم مئة كميته  
أبي خارجة . فسأله ، فقال : أكل بدجاً<sup>(٤)</sup> وشرب وطباً<sup>(٥)</sup>

(١) (لهم) بهزة وصل للضرورة (ارتاضوا) راضه فهو مروض  
وقد ارتاض . (قرضوا) : قرض الشعر قاله ، وله قريض حسن لأن الشعر  
ذو تطايع أو سمي بالقريض الذي هو الجرة ... (الأساس) . (شعر به)  
كنصر وكرم والأولى هي القصيدة : علم به فطن ، وحكي اللحياني :  
شعر لكذا إذا فطن له ، وشعر به بالفتح : عفاه (التاج) . (شعر)  
كنصر وكرم شعراً قاله أو شعر ككرم أجاده ، وهذا القول الذي  
ارتضاه الجماهير لأن (فعل) له دلالة على السجاية التي تنشأ عنها الاجادة ،  
وشعرت لفلان أى قلت له شعراً (التاج)

(٢) الخامس :

فاسقنيها ياسواد بن عمرو إن جسمي بعد حال لخل  
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

(٣) اسمها ضمير الشأن

(٤) البذج : الخمل ، ولد الضأن كالتمود من المزم

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، الزق ، جمع القلة : أوطب والكنير :  
وطاب وأوطاب

# رِسَالَةُ الشَّعْرِ



## نكبة السيول

للسيد أحمد عبيد

« أيها الاخوان هلا عطفة تيجر الكسر ونحي من غير »



هجع السامر واقض السر  
وسجا الليل فما من نبر  
وخلا الأفق سوى من ومض  
والكبرى يبعث أضغاث الرؤى  
غفل الناس بها عن كونهم  
هجموا والزنن مرجو الحيا  
فإذا السحب ركام مطبق  
وإذا السيل أنق مارد  
غادر السهل كبحر مزيد  
قلما سر على شيء ولم  
فأني البيان من أساسه  
لم يثل من شره نبت ولم  
والردي يدهق في دأمانه  
فترى الأشلاء تظفر فوقه

رتوارى البدر والنجم استسر  
بفم الليل إذ الليل اعتكر  
تتجلى فيه أنا وتمر  
زاخرات بها ويل الصور  
والرزايا راصدات والغير  
والغواصي حافلات بالدرر  
عابس الطلعة مرهوب النظر  
عريم الطفيان مشهود الضر  
طمت الأمواج فيه فاتفجر  
يتخ من أعلامه كل أثر  
وتعاطى كل نفس فقمر  
يتخ منه حيوان أو بشر  
كأس موت وهلاك ما أمر  
زاهقات الأتس الطهر الفرر

فملا الجذع يرجي عنده  
وفتاة طفلة ناعمة  
عصف السيل بها فانهتكت  
وغني كان سرموق السنا  
تركته النكبة الكبرى لقي

نجوة فأنبت فيه وانكسر  
ذات دل وعفاف وخنر  
وطواها في مطاويه القدر  
حاشدا نذبا كريم المعتصر  
ينشد العيش ويكي من قبر

\*\*\*

أيها الإخوان هلا عطفة  
أنفقوا مما تحبون فن  
ليس يغني الدمع في تسكابه  
أتيوا سيل الحيا سيل الندى  
واشكروا لله إذ أنجاكم  
ليجد ذو الفضل بالعمو<sup>(٣)</sup> ومن

تيجر الكسر ونحي من غير<sup>(١)</sup>  
يفعل الخير يجده مستطر  
عن بلاء جل أو خطب أبر  
ينتش بهض الذي كان عثر  
بأجلد<sup>(٢)</sup> فالله يجزي من شكر  
جاد من جهد<sup>(٤)</sup> فقد أسنى وبر

أحمد عبيد (دمشق)

(١) غير : يني

(٢) الجدا : المطا

(٣) العمو : الزائد من المال ومنه قوله تعالى : ( بألوتك ماذا ينفقون

قل العمو )

(٤) الجهد : النسيء القليل يعين به القليل على جهد العيش



رب طفل أبصر السيل ولم  
صاح يرجو نجدة من أمه  
يقو أن ينجو منه أو يفتر  
وأبيه وهما فيمن غير

## لوحة الشاعر

للشاعر السوداني المرحوم التجاني يوسف بشر

—&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;—

الحسنُ - يهفو بجفنه الوسنُ - كلُّ خبيءٍ من سحره حسنُ  
 للحسن عندى وللهوى صورُ  
 وهى لعمري وعمرها غررُ  
 ذخيرةٌ للفؤاد أو أشرُ  
 من الجمال الحبيب يُقتصر  
 يرقد في جبرها فتى أثيرُ يفتنُ في خلقها ويفتن  
 سكرى لها في الحياة مُنحدرُ دونى . وفي لوحنى لها من

\*\*\*

مسحورةٌ في الدماء تضطربُ تسمعُ منها دويها الأذنُ  
 أطيافُ دنيا سماؤها عجبُ  
 تنأى وتدنو أنا وتقترب  
 فيها غيومٌ وعندها سحب  
 تبرز أنا منها وتحتجب  
 أضيعُ شيء في أرضها الذهب يجرى بعيداً عن كونها الزمن  
 وتلك دنيا للسحر مضطرب فيها والساحرين مُرتهنُ

\*\*\*

تحسبها في الندى إن سمرت أو هزها في مراحها الددنُ  
 جئاً نادى ما غازلت ظفرتُ  
 إلى مراقي السماء وانحدرت  
 وما أصابت من قبلة سكرت  
 نطنُ كالنحل كلما ظفرت  
 بشاطيءٍ للنعيم ماء عبرت إلا على مدمع به السفن

وملعب للسلاح كم خطرت فيه ديار وم مشت مدُن

\*\*\*

أية دنيا هاتيك ظلُّ شبح من كل فنٍ يحفها فن  
 وكنزها العبرى شقُّ قدح  
 أخى هزارٍ إن حركته صدح  
 أو عابثته على الدنان سبح  
 ذات ظلال سحرية وملح  
 أكرومة الفن من أسى ومرح ترقد فيها التصور والدين  
 لوتهها في الزمان قوس قزح وذاب فيها السرور والحزن

—&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;—

## عودتنا الثانية

للأستاذ خليل هندارى

غداً عند ما تهادى اللحد وتنفضنا من حنايا التراب  
 وقد لمستنا أكف الخلود وردت علينا ثياب الشباب  
 غداً عند ما تهلين الحيلة شراباً ويا برد ذاك الشراب  
 وقد رف للحب كالأقحوان فم لا يزال عليه التراب  
 أنفحق مثل الفراش الجميل؟ تزوق ألواننا من هوانا  
 أنطلع مثل زهور الخقول؟ ونملأ جو الهوى من شذانا  
 إلى أين نمشى وأنى نظير! وقد ملأ العاشقون اللحد  
 وفي كل صوب تهب الحياة ويحيا الهوى ، ويفيق الوجود  
 تعالى إلى لحدنا المطمئن نجدد سيرتنا أو نعيد  
 لقد كان مشوى فناء عتيق وأصبح مأوى غرام جديد

خليل هندارى



## الزنك

### كعنصر أساسي لنمو النبات

للأستاذ عبد الحلیم منتصر

— ٢ —

#### أعراضه مرضه الحرمان من الزنك

لقد أصبح من السهل تشخيص هذه الحالات المرضية ، التي تمرى النبات ، نتيجة لحرمانه من الزنك ، وذلك بعد التجارب العديدة التي أجريت ، والملاحظات القيمة التي أبدت ، وبعد أن ظهر جلياً أن علاج هذه الأعراض لا يكون إلا بإعطائه حاجته من الزنك ، على أن يكون ذلك بإحدى الطرائق التي سنوردها فيما بعد

وأظهر هذه الأعراض ما يمرى الأشجار التي تنساقط أوراقها خريفاً ، وذلك بأن تظهر الأوراق عند حلول الربيع ، في قمم الأفرع الصغيرة ، لا يتجاوز طول الورقة بوصة ، ويكون عرضها محو ربع البوصة ، وهي إلى جانب ذلك محمرة اللون ، خافتة قليلاً ، قصيرة العنق ، مبقعة في الغالب . وقد تكون هذه الأفرع ذاتها محملة في غير قممها بأوراق سليمة لا أثر لهذه الأعراض عليها ؛ بيد أن مقاومة هذه الأجزاء مؤقتة ، أي أنها لا تستطيع متابعة النمو الطبيعي مدة طويلة ، وفي الحالات الشديدة تظهر الأعراض نفسها عليها هي الأخرى ، فترى أوراقها صغيرة مبقعة ذات أشكال غير طبيعية ، وقد لوحظ أن مثل هذه الأشجار قد تدوى وتموت بعد عام أو عامين على الأكثر ، وإن أظهر بعضها مقاومة مرض الحرمان من الزنك مدة أطول وفي الحق أن هذه الأعراض تختلف باختلاف الأشجار

أو النبات ، فهي في الشمس غيرها في الكريز أو التفاح والجوز واللوز والموالح وغيرها ، وما ذلك إلا لأن درجة الاحتمال يمت واحدة ، حتى إنه ليصعب على غير ذي الدربة تمييز هذا المرض من غيره إذ تشابه أعراضه أعراض سواه

كما أن من المحقق أن ثمار مثل هذه الأشجار الصابة لا تكون طبيعية الشكل والحجم ، فالخوخ والبرقوق تكون ثمارها صغيرة مفرطحة ومدية أطرافها ، كذلك الشمس والليمون . وذلك علاوة على النقص البين في المحصول . وعلى الجملة فإن أشجار الفاكهة في الحدائق وغيرها من أشجار الزينة تبدي أعراض مرض الحرمان من الزنك ، بيد أن درجات احتمالها ومقاومتها متفاوتة ، فعلى حين تكون أشجار الخوخ والكريز مثلاً قد أذبلها وأذواها هذا المرض ، أو لعله قد صيرها مشرفة على الهلاك ، يكون غيرها من جوز ولوز وتفاح وكثيرى وبرقوق وعنب ومشمش وتين وموالح أكثر مقاومة ، وإن كان حتماً أنها تصل إلى نفس الصير مالم تسعف بالملاج ولن ترضى بنير الزنك بديلاً وتختلف درجة مقاومة النبات للمرض تبعاً لطبيعة التربة التي ينمو بها ، فهو أكثر مقاومة إذا ما كانت الأرض طينية ، قادر على احتمال نقص الزنك من ألوان غذائه فيها . أما إذا كانت الأرض رملية أو كانت حصباء ، فإن أعراض المرض لا تلبث أن تظهر إذا كانت كمية الزنك غير مناسبة لحاجة النبات منها ، ومن الملاحظات التي سجلت على الخوخ أنه بعد أن تابع نموه مدى أعوام خمسة كان يعطى فيها أوفر محصول .. ظهرت أعراض تأثره بنقص الزنك في أواخر صيف العام الخامس ، وكانت النتيجة موت أغلب الأشجار خلال ثلاثة الأعوام التالية؛ وعند ما زرعت مكانها أشجار أخرى ظهرت أعراض المرض في العام الأول مباشرة . وعند ما عولجت بالزنك اطرد التحسن وزاد المحصول

## طرائق العلاج

وتتلخص طرق علاج مرض الحرمان من الزنك فيما يأتي من الوسائل التي جربت وثبتت صلاحيتها :

- ١ - إضافة محلول كبريتات الزنك إلى التربة
- ٢ - وضع قطع من الزنك في ثقب عمل لهذا الغرض في جذوع الأشجار وفروعها
- ٣ - وضع كبريتات الزنك في ثقب بالشجرة
- ٤ - رش الأوراق بكبريتات الزنك والجير
- ٥ - الرش بأكسيد الزنك
- ٦ - الرش - بعد سقوط الأوراق - بكبريتات الزنك
- ٧ - الرش بكلورور الزنك

على أنه لوحظ أن العلاج عن طريق التربة هو من أنجح هذه الوسائل ، وخاصة إذا وضع مركب الزنك غير بعيد من الجذع . وقد وجد أن وضع نحو ثلاثمائة كيلو جرام للفدان الواحد مذابة فوق أرضه تبقى نافذة الأثر في العلاج مدى ثلاث سنوات تباعاً . كما أن وضع مائة كيلو جرام فقط ، توضع بالملقعة قيد قديمين من جذع الشجرة يعطى نفس الفائدة ولدات المدة

أما العلاج عن طريق حفر الجذع بكبريتات الزنك في ثقب تكون متقاربة ، يوضع في كل ثقب من جرامين إلى ثلاثة ، ثم يقفل الثقب بالشمع ؛ مثل هذه الطريقة لم يجب مفعولها مطلقاً في علاج أمراض الحرمان من الزنك ، بل إن أثرها ليقى مدة ثلاث سنوات على الأقل ؛ إلا أنه وجد أن الخشب الرخو يتأثر بهذه الطريقة ، كما أن الثقب قد تكون سبباً في جلب أمراض أخرى ، وذلك إذا أهمل إحكام غلقها

كما أن إدخال قطع من الزنك أو الحديد المنفصل بالزنك ( وتفيد السامير العادية في بعض الحالات ) في الجذع والفروع ، يعطى نفس الأثر من علاج حاسم سريع للمرض ، إلى تقدم محسوس في نمو النبات ودرجة إزهاره وإثماره . ويستحسن في هذه الحالة أن يدق عدد من السامير على أبعاد وأعوار مناسبة . وقد ثبت أن هذه الطريقة هي أنجح الطرائق المذكورة إطلاقاً ، فهي أقواها مفعولاً وأدومها أثراً . وبما يستحق الملاحظة في هذه الطريقة أننا إذا ثبتنا مسباراً أو عدداً من السامير في أحد الأفرع فإن أثر

العلاج يتبدد محضاً جلياً على الجزء من الفرع الذي يبدأ بموضع السمار أو السامير وينتهي بالقمة ، على حين يظل الجزء من الفرع الذي يبدأ من هذا الموضع نفسه وينتهي بالجذع الرئيسي أو الأرض ، يظل هذا الجزء كما هو لا يتبدد عليه أى علامة التحسن أو آثار العلاج وطريقة الرش هي أيضاً بارعة الأثر في كثير من الحالات ، فقد وجد أن رش الأوراق بمزيج مكون من عشرة أرتال من كبريتات الزنك ومائة جالون من ماء الجير ، مفيدة جداً كعلاج لأعراض مرض الحرمان من الزنك ، وخاصة للعوالج والشمس والعتب ، وإن كان من الحق أن تقول : إنها كانت غير وافية بالفرض في بعض حالات أخرى . وقد وجد أنه في حالة استعمال هذه الطريقة يحسن أن يعاد رش الأشجار المصابة مدى عامين متتاليين إذا كان مرض الحرمان قد أثر تأثيراً سيئاً على النبات

كيف تؤثر طبيعة التربة وصفاتها الكيميائية في سير مرض الحرمان من الزنك ؟ وكيف يستجيب النبات لهذه المؤثرات ؟ وما هو الدور الذي يقوم به الزنك في النبات ؟ سيكون ذلك موضوع حديثنا في عدد الرسالة المقبل إن شاء الله تعالى

عبد العظيم منتصر

« يتبع »

ماجستير في العلوم

## أمرء البيان

للمستأثر محمد كرد علي

وزير معارف سوريا سابقاً والمعضو بالجمع الملكي بمصر وهو كتاب جليل في أمرء الكتابة في العصر العباسي يحلل تاريخهم ويشرح ينشهم ويوضح فهمهم وبلاغتهم ويستعرض نماذج من أقوالهم

طبع بلجنة التأليف والترجمة والنشر

في جزدين يقعان في نحو ستائة صفحة

وثمنهما معاً عشرون قرشاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بدارها رقم ٩ شارع الكرداسي

ببغداد بمصر ومن المكاتب الشهيرة



مشهد غرامى من أوتونى نرولوب

## غرام راهب للأستاذ درينى خشبة

بأسبابها ، وأن يلقها ويدهن لها ، وأن يزخرف لها حجاباً يزهها به أن له نارا تتأجج في قلبه ، وتندلع بين أخالعه ... وكان للأرمل الغنية شئ من الجمال غير قليل ... وإن كان جلالها يذهب به كثرة اللحم والشحم ، وقصر الرقبة واستكراش البطن ، وترهل الثديين قليلا ... ولكن وجهها كان ذا رواء وسياه ، خصوصا حين تعالجه بالأصبغ والدمام ، وسائر فنون التطرية ... لقد كانت تجلب له حسنا مصنوعا يفرى الساكنين من أمثال سيدنا الحبر الجليل المستر سلوب ، فكيف وقد حازت هذا الثراء الضخم ، والغنى الواسع ، والدخل المضمون ؟ ... إنها ما أغنى وما أفتى ، فلم لا يفضى الحبر الجليل عن بعض العيوب التي جرها الشحم واللحم ؟ ولم لا يذكر أنه هو الآخر ليس وسيا قسما ، ولا نحيل القد بمشوق التوام ، ولا له لفتة الظبي ولا خيلاء الطاووس !؟ بل ، ينبى أن يذكر لحيته الهائلة التي تحجب عين الشمس عما تحتها من وجه مكتم ، وصدر كأنه نصف جبل حملته ساقا عفريت . وهكذا ينبى أن يحجل قلبه المهوم بالجمال قليلا ، فنظرة خاطفة في المرأة تقنمه بحاسن الأرمل السيدة بولد ، ونظرة أخرى إلى رؤسها الكبيرة تجعلها أجمل حسان الدنيا

ولكن قلب الحبر الجليل ليس من هذه القلوب الرطبة التي تقنع بصيد واحد ، لا سببا إذا كان هذا الصيد وثنا من أوثان الدنيا التي تغرى بالذهب ، وتجذب بالثروة ، وتتكلم بالدنانير .. لا .. ليس لثل هذا الصيد يخفق قلب الراهب الذي يشغفه الجمال فهو ينبض له ، وتجذبه مغاات الحسن فهو يهيم بها ... إن لثل هذا القلب في هذه الدنيا حقوقا يقتضيها من حدود التيد وعيون الخرد الأمايد ، وهو لا شأن له بالذهب الذي يضمن سعة الحياة ورغد العيش وإقبال الأيام ... ومن أجل ذلك فليس لقلب المستر سلوب من هذه الأرمل الغنية نصيب ، فهي صيد نفيس حين لأطاعه ، ومن أجل ذلك فليطلق هذا القلب في دنيا الجمال

لم يكن لبقا سيدنا الحبر الجليل - المستر سلوب - حين حاول هذه المرة أن ينقل فؤاده حيث شاء من الهوى ... فلقد عرف الناس أنه مشغوف بالسيدة ( ... بولد ) وأنه يرمى جهده ليحظى بها زوجة مثرية غنية ذات مال وذات جمال ، وذات ربيع ثابت يقدره العارفون بألف أحرر وإن تقبضها غير منقوصة كل سنة ... عرف الناس هذا ، وحرص سيدنا الحبر الجليل على ألا تفلته هذه الفرصة النادرة التي تضمن له غرة من كنوز قارون في كل مطلع عام جديد ، فيضمن نوال الدنيا و ... حسن ثواب الآخرة !!

ولم يكن أحد يسيب عليه قط بمجازفته الغرامية هذه ، لأنها كانت في سبيل الزواج ... والزواج شئ عادى أقرته الأديان وزلت به الشرائع ... أما أنه راهب فلا بأس ، فإنها رهبانية ما مرضها الله على أحد ، فليام يفرضها سيدنا الحبر الجليل - المستر سلوب - على نفسه !؟

وسيدنا الحبر الجليل رجل يعرف حق الدنيا كما يعرف حق الآخرة ويعطى لقلبه من هذه الدنيا تسعة وتسعين من أنصبتها المائة القسمة بينه وبين عقله ... لذلك كان شعوره يطنى على تفكيره ... وكان هواه المنقد وعاطفته المشبوبة لا يتفقان ومركزه الذى أساسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبنى

فلقد عرف هذا الحبر السيدة ( ... بولد ) الأرمل ، بعد أن مات زوجها ، وبعد أن ترك لها هذه الثروة الهائلة التي أسالت لعاب المستر سلوب ، وشبت أطاعه ... فلم ير بأسا أن يصل أسبابه

السيدة اللعوب ... وليس خير أن يفشل مرات ومرات في البوح لها ... على أن السينورة الحصيصة اللبية قد عرفت ما يحتاج قلبه من حبا لأول زوارة من زيارته الصباحية المقتلة التي حسب أنه شرفها بها ... ولقد كانت السينورة واسعة الثقافة ، بل كانت أكثر من ذلك ، كانت فيلسوفة بفطرتها ، تجيد الفلسفة التطبيقية في كل أحوالها ... وكانت تجيد ذلك على الخصوص مع رجال الدين ... فما بالك بحجر جليل من عظامهم ينسى نفسه بين يديها ، وينسى وظيفته في الحياة ، وينسى دقات ناقوس التي توقظ الفالدين وينسى بيانه الذي يرهب به ويرغب ... وينسى كل شيء ... حتى صور القديسين والحواريين التي كانت تهاجم كلا خلا إلى السينورة فلا يأبه بها ، ولا يعنى بهتافها به كما يعنى بانتقاء الطور التي يضحخ بها نفسه ، والبنقيات التي يحرص أن تكون نظيفة ناصعة ، وبكل ما يظهره فتى في عين السينورة ، من منديل جميل وقفاز جديد ... و ...

وذهب الراهب الوقور ليسأل كعادته عن السينور فلم يجده ، وأدخل إلى السينورة فلم تمن به إلا كما يعنى الصبية بغناز النصح ينيه عن فريسة السمك ... ووجدتها كعادتها دائما مضطجعة فوق كنية وثيرة عند مكتبها الفخم ، ويدها يراعها الأبنوس الثمين ، وأمامها صحيفة تخط فيها كلاما قالت عنه وهي تتخاطب إنه خطاب أوشكت أن تكتبه للحجر الجليل ... ثم مدت يدها الجميلة البضة لسيدنا الراهب فتناولها في يده المرتجفة ، وانحني رأسه الكبير ولحيته المنكرة فلتئها ، وهو يخيل إليه أنه يسرق القبة الذهبية من كنوز سليمان ... ياله من منظر عجيب !! لقد كان شيء كبير هائل شأنه كراس نور ، ينحني فيسحت في زهرة يانعة حتى عليها النجل فقذفها في طعامه ... بل كان أعرب من هذا ... لقد كان كالتنين الهولة ينازل فينوس ربة الحسن !

— لقد أوشكت أكتب إليك ، فأما وقد جئت ، فلألق بما كتبت في سلة المهملات ...

— لا ... لن يكون مصير ما تفضلين بكتابته إلى هذا المصير ... لأحتفظ به إلى الأبد ، فإذا كان لا بد من إعادته ، فلأحرق له بخورا ولألق به في ناره ! أليس كانت ديدو تصنع مثل هذا ؟

— أنا لا أحترم ديدو هذه أيها الأب ... لقد كنت أوز أن تكون ... كعادته حين رأته ما طاق بحببها فأثرت

ينشد صيده ، فهو لا يعنيه أن يكف على وثن من الذهب يتعبه ولا يهواه

\*\*\*

هذه هي السيدة ... بولد ... أما السينورة نيروني ، فزوجة ودية للسينور نيروني من كبار رجال السياسة والطب ، وقد تزوجها السينور لجمالها البارع ، ولهذه الألفاظ العميقة التي تمتلئ بها عيناها السحريتان ؛ وتلك الظلال الحزينة الغائنة التي تموه جبينها بمثل ظلال الغروب ... وليس شك أن السينور يحبها ويحرص على مرضاتها ، وأكبر ما يعطف قلبه عليها أنها مقعدة ، أو كالقعدة ، لأنها أصيبت بلبن في عظام ساقها بعد أن بنى عليها ... ولستنا ندري إذا كانت السينورة محبة ، أو تحب أحداً من العالمين ... فلقد عبست للحياة وتنكرت لمهاجها وأول هذه المهاج الحب .. وكان السينور يفرط في منحها حرية الاجتماع بمن تشاء ، والخلوة بمن تحب ؛ وكانت هي كالمنكبوت الصناعات التي لا تفتأ تنسج شراكها للذباب ، فلم يكن أحد يتخلل إليها حتى تسمى قلبه بنظرة أو نظرتين من عينيها القتالتين فتزله ويصبح لها عبداً وبها هاتماً وكأتما كانت تنتقم لنفسها من الناس فهي تعذبهم بالحب الذي لم تبسه ، وتكوى قلوبهم بالفرام الذي لم تعرفه . وقد أولمت بذلك حتى صار طبعاً ثانياً لها ، وهي لا تستحي أن تفخر بذلك وتباهي به ، فنقول لأختها : « إنها لا تعجز عن إذلال قلوب المهاجرة وقسرم على التمرغ تحت قدمها ... » ولم يكن بدعاً إذن أن يكثر عشاقها حتى يربوا على المشرين ... وكان أحرم شفقا بها هو هذا الحجر الجليل الملامة المستر سلوب ، الذي لم يكدر أراها حتى نسى نفسه ووسوس له شيطانه ، ففقد أواصره بأواصر السينور نيروني ، ثم بأواصر السينورة من بعد ... وأى بأس في أن يحتفظ بالسيدة بولد لنفسه الأمانة الطاعة ، وبالسينورة لقلبه المهوم بكل هيفاء حسناء ... لا بأس قط ... فليضع في قوس كيوييد وترين عردين ، ولير كيف يصيب بهذه القوس إن كان مثله يحسن أن يحمل مثلها ... ثم ليكن جريثاً ... فلا يبالي رجال الكهنتوت وهذه الماطف الفضاضة السود ، ومقالة السوء التي يثلبونه بها ... ولير السينور نيروني في الوقت الذي لا يكون السينور موجوداً فيه في منزله ، ولا جرم إن السينورة مستغاف حينئذ ، وسيشرب في حضرتها قدحاً من القهوة ... وربما أمرت له بكوب من نبيذ يردو يبعث الدم حاراً في عروقها فيزداد جرأة وإقداماً ، وقد يجد الفرصة الجميلة فيكشف عن خبيثة قلبه لهذه

الدنيا السحرية في ذهبها وجمالها وفتنتها وخيراتها سعادة مُحسنة  
لامراء فيها ... سعادة يسع كل أحد أن يبتأ بها ويرشف ماشاء  
من معينها ...

وارتبك الحبر الجليل قليلاً ثم قال: «أوه! كلا... إن  
كل هذه الدنيا بجميع ما حوت من حطام لا يمكن أن تؤدي  
إلى السعادة!»

— إذن ما الذي يستطيع أن يجعلك سعيداً أيها الأب؟ ما المعين  
الذي لا ينضب، الذي تنشده منه سعادتك؟ لن تقول ألا معين  
لك، فلكل من الناس معينه الخاص!

وغلب الحبر خباله الديني فأجاب: «قد يبحث الإنسان  
عن السعادة فيمبئه البحث، ذلك لأننا نبحث عنها دائماً في هذه  
الأرض، وهي لا تكون إلا في السماء!!

— صه، وبلك! إنك تقول بلسانك ما ليس في قلبك...  
إنها تعاليمكم التي لم تستطع أن تشفى أطعكم في هذه الدنيا...!  
إذا لم يكن شيء من السعادة حقاً في هذا العالم الفاني فلم جاهدت  
أن تكون قسماً وجاهد أصحابك معك؟ لم طعمتم في حطام هذا  
الفناء وتشبثتم به؟  
— ذلك لأنني لم أظهر من شوائب آدميتي، فإن لي كما  
لجميع الناس أطعاً...

— صدقت، ولذلك قلت لك إنك تقول بلسانك ما ليس في  
قلبك، وإنك تسلم بما لا تؤمن، وإنك تباع للناس عظمات  
لا تمتد بصحتها... لقد كان القديس پول مؤمناً حقاً، ولذلك  
لم تقسد الدنيا بكل ما فيها من زخارف تعاليمه؛ وكان مثله القس  
اللاهوتي المزمع، الذي قضى نصف عمره قائماً فوق عمود في  
أرض الفراعنة... أنا أجل هؤلاء وأضرابهم، لأنهم يؤمنون  
بالشيء فيبدو إيمانهم في كل ما يصدر عنهم... فإذا دعا رجل الدين  
إلى فضيلة ولم يكن متخلياً بها، فتمسك له، وتمسك للفضيلة تخرج  
من فمه فتكون رغاء...

وانتقد لسان الحبر الجليل فلم يحجر جواباً... وأني له أن  
يستذكر تعاليم مولاه التي أعطى مركزه ليشر بها بين الناس  
مادام الشيطان يملك زمانه، ويؤجج نيران الجحيم بين يديه..  
ثم أتني له أن يحسر على هذه التعاليم فينذلها لشهواته، وهو يعلم  
ويؤمن، أن مولاه الإله يحيط به، ما تكاد تكون له نجوى إلا  
هو عالم بها؟! وقد طربت السينورة لما بدا عليه من بداوات الخبرة

أن تلحق به، حتى لا تقع بين المطرقة والسندان... أيها الأب  
الكريم مستر سلوب، أرجو ألا تخطئ بين جد الحياة وبين  
عبث الحب!

وصفت حمرة الخجل وجنات الحبر الجليل لأنه أيقن أن  
السينورة تعرض بما بينه وبين المسيز بولد، وأنها تشتغي أن تذله  
كما أذلت عشرين عاشقاً لها من قبل... ثم لم تنأ أن تقسو عليه  
فقال: تمبث به متلطفة:

— ماذا؟ إني ما أزال أقولها لك في صراحة: لا تخطئ بين  
عبث الحب وجد الحياة... إن أمامك ثروة واسعة، ومدينة من  
الذهب شاسعة، وإنيك تشتغي أن تكون صاحبها، فأقدم بحزم،  
ولا تلتف أطعك بهذا الحب الطاري؛ فإن كنت في عرض الدنيا  
زاهداً، فأحب كما ينبغي أن يكون الحب... هب الحب كل قلبك  
فالحب يكره أن يشركه أحد في القلب... فإذا أبيت إلا أن  
تصيب الحسنيين فاعلم أنك من الآن فاشل... فأيهما تؤثر  
أيها الأب: المال، أم الحب والجمال؟!

وظافت برأسه طائفة من الأفكار، ولكنها طافت بسرعة  
البرق، فقال: «بل الحب، ولا شيء غير الحب... الحب الذي  
ينبئ أن يقهر كل رغبة وأن يسود جميع الأطع...»

— بل آثر أن تستمع إلى نصيحتي، وتذكر ما بعد نشوة  
الأسبوعين أو الثلاثة الأسابيع من عمر الحب... إنها الخيبة  
وانعكاس الأمل... إنه ما حدث في الأساطير لنيزيس التي لم يحب  
أحد كما أحببت ولا اكتوى عاشق بمثل ما اكتوت... إن التفاني  
في الحب يعني الفشل فيه... والحب الصحيح يعدل القنوط من  
جنى الثمرة المشتهة... أو لم تحب جوليت؟ أو لم تحب ديدو؟  
وهايدي كذلك! وتروبولوس؟ ألم يحب حباً طمس رجولته؟  
— بلى... لقد أحب تروبولوس ولكن تفلته حبيته،  
ويستطيع كل إنسان أن يحب ولا يكون تروبولوس، فليس كل  
النساء كرسيدز!

— هذا حق، ولكن عدم الإخلاص ليس كله في جانب  
المرأة، بل لكم النصيب الأوفى فيه... فلقد أخلصت إملوجين،  
فإذا كان جزاؤها؟ ألم يههما زوجها أنها صبت إلى أول ضيف  
انفردت وإياه لأول مرة في غيابه؟ وديدمونا؟ لم خفها بعلها؟  
ألم تكن مخلصه وفيه؟ وأوفيليا؟ ألم تجن بأخلاصها؟ إنه يبدو  
لي ألا سعادة في الحب إلا في خاتمة القصة الإنجليزية! أما هذه

ركتبته أمام الأريكة ، ويصرح أنه إنما يحب السينورة حقاً ، ولكن لا يحب الناس !! فلما قالها ... يدهته السينورة بسؤال آخر فقالت :

— « والآن ، أستطيع أن تخبرني متى تزوج بالسيدة أليور بولد ؟ »

ولم يستطع المسكين إلا أن يقول : « ولأمر ما ترميني بتهمة النفاق والتفريب بك يا عزيزتي ؟ »

— نفاق ! أنا لم أقل شيئاً من هذا أيها الأب ! ولكنه يدولي أنك يجب أن تدافع عن نفسك فيما يتعلق بي ؟ فلم هذا ؟ لم لا تبقى دفاعك لتقدمه بين يدي السيدة أليور ؟ إنها هي التي ستزوج منك ، أما أنا فامرأة ذات جمال رائقك ، وليس هذا شيئاً ، ألا ما أبرعكم في التخريج يا رجال الدين ؟

— لقد بحث لك يا عزيزتي السينورة أنني أحبك .. أهواك . أعبدك ... فلم تميريني ؟

— أعيذك ؟ يا الله ! هلم أيها الأب تخبرني ، ألا تزوج من السيدة أليور بولد ؟

— لا ... لن يكون هذا !

— بل أؤكد لك أنك من عبّادها !

— وأنا أني ذلك من كل قلبي !

— ولم لا أيها الستر سلوب ؟ إنها أولى النساء بك ... بل زوجها تكن لأطفالك أما وليبتك ربة ... ثم لا تنس أنها أرملة جميلة ذات ثراء !

— ألا ما أفساك يا سينورة !

— أو تلك قسوة ؟

— أجل ... إذ كيف يصبر فؤادي الذي هو لك إلى امرأة

سواك ! ؟

— إذا كانت هذه قسوة أيها الأب ، فإذا إذا صرحت لك أنني لا أملك أن أبادلك حباً بحب ولا عاطفة بماطفة ؟ فإذا كنت لا أملك هذا ، تخبرني كيف أجزيك على حبك ؟ أأجزيك عليه بأن تحضر كل يوم فتسبح بحمي وتذكر محاسني ! أوه ! ما أفساك أيها القدر !!

وكان الأب الجليل ما يزال راكعاً بين يدي مادلين ، فلما

والقلق والارتباك ، فقالت له : « يدولي أن ذكائك وتوقدِ ذهناك يسلمان بهذه القضايا ، بيد أنني ألاحظ أن قلبك وعاطفتك عمييان عنها ، أليس كذلك ؟ »

— قلبي !! إنك أنت التي توجدين ثمرة هائلة بين ذهناك وبين قلبك ، بين ذكائك وبين عاطفتك ... إني أهنئك بما تهمني به ... »

ثم حمل كرسيها ودنا من السينورة بحيث لم يعد يحجز بينهما إلا زاوية المكتب الفخم الذي كانت تكتب عليه ، وكانت يدها الجميلة الساحرة ممتدة عليه ، فبلع سيدنا الحبر الجليل ريقه ، ووضع يده الثقيلة الملتهبة عليها ... فقالت له :

— هذا يعني أنك ... يجب ! وأنتك تجعل مني جنة مقمرة لأحلامك ؟

— ولم لا ! إن حبك يصلح لأن يكون جنة واسعة مقمرة لأحلام ملك !

— لأحلام ملك ؟ هه ! بل قل لأحلام رئيس أساقفة يا عزيزي الستر سلوب !! وله ؟ إنكم دائماً تملون لنا زخرف القول أيها الرجال ! وأنتم خاصة أيها الأحبار أمهر الناس في توشية الكلام .. كن شجاعاً يا عزيزي الستر سلوب وانظر إلى مجامع عينيك

وكانت قد سحبت يدها الجميلة الساحرة بعيداً من يده فنظر إليها بعينيهِ الجائعتين التهورتين نظرة الواثق المتنازع ، ومد يده ليقبض على يدها ، لكنها رمقته بعينيها الجليتين الصارمتين وقالت له : « لقد رجوتك أن تحول حماسة يدك الجبارتين إلى عينيك الحالمتين يا مستر سلوب لكنك لم تفعل ... »

وكان قلب الحبر الجليل قد انماث من لوعة الحب ، وتمذيب الحبيبية ، فصرخ شاكياً :

— أوه مدلين !!

فتبسمت عن ثنايا كاللؤلؤ وقالت له : « حسن ، إن اسمي مادلين ، هذا لا ريب فيه ، ولكن أحداً من المالمين لا يجرو أن يناديني به إلا أن يكون من أسرتي ، أفتريد أن أفهم من ذلك يا مستر سلوب أنك تحبني وتمتسقي ؟ ! »

وارتبك الحبر الجليل ، ولم يدر ما ذا يصنع ، لأنه إنما أتى إلى بيت السيدور ليجلس جلسة غرامية من غير أن يصرح بلسانه أنه يحب ، فلما بدهته هي بهذا السؤال لم يستطع إلا أن يجثو على

— زيف وبهتان؟ أتريدن أن تقولن إن حبي لك زيف؟  
 — زيف وأى زيف!! وإلا، فافرض أنني حنثت في  
 سبيلك يميني أن أكون إلى الأبد مخلصاً لزوجي وفيّة لاسميه  
 الذي حملت، وأنتى زلت لأرضي حبك وأشقي لوعتك، فهل  
 ترضى إذا أخرجت من هذا البيت أن تذهب معي فنقف أمام  
 المذبح لنتمن للملأ أنك رضيتني زوجة لك...؟ أنا...؟ هذه  
 المقدمة التي لا يسندها في فؤادك إلا مسحة من الجبال فتفتك  
 الآن، ولا تدري ماذا تكون في غد؟ — ولكن الحبر الجليل  
 لم ينس بينت شفة، فقالت مادلين: «ماذا؟ تكلم! ماذا تضحي  
 من أجلى إذن إذا ضحيت لك بكل ما عرفت؟!»

فقال الأب: «لو أنك حرة الآن لرضيتك زوجة لا أرضي  
 بها ملء الأرض ذهباً!»

فقالت مادلين: «لو أنني حرة! أنا حرة! ها أناذى حرة!  
 لننتقل إذن من هنا... هلم فاحلني إلى دارك! لم تقف جامداً  
 هكذا؟»

لكن الأب لم يد مع ذلك حراكاً...  
 — آه! لقد خشيت أن تضحي الدنيا الواسعة المترعة بالخيرات  
 من أجل امرأة مقعدة مثلي! إذن فهلم تكونن صديقين... صديقين  
 نحسب... لا تنس هذا...»

وانحط على الكرسي القريب منها، ثم تناول يدها الجميلة  
 الساحرة وطقن يقبلها أكثر وأحرماً فعل قبل... حتى لكان  
 الدرس القاسي الذي تلقاه لم يكن له أثر... وزاد الطين بلة فقال  
 وهو يبكي:

— «مادلين... مادلين... قولي إنى أحبك... قولي  
 يا مادلين!»

\*\*\*

وهنا سمع وقع أقدام في الخارج فنهرتة السينورة وهي تقول:  
 «صه! أيها الأب! إن أمي قادمة وأخشى أن تشهد دموعك...  
 هلم فأصلح من شأنك...»  
 ووثب الأب الجليل سروراً... ولم يعن باصلاح شأنه... بل  
 انطلق على وجهه من الباب الخلفي، ولم يد أحد يسمع به...  
 لأنه لم يذهب إلى الكنيسة منذ ذلك اليوم...  
 (ملخصة)

درينى ضحيت

أهوت على قلبه بهذا التصريح هب منتفضاً كالغراب (١) الذي  
 بلله القطر، وجلس على كرسي قريب  
 — وهل تسمحين أن أعطف عليك... مجرد عطف...  
 على ما نابك؟

— تعطف على؟ بل تريد أن ترى لى لأنى شبه مقعد؟ إنى  
 إذن أحتقرك!

— أوه مادلين! أردت أن أقول «أحبك!»  
 ثم انقض على يدها الضميفة الجميلة يعطرها آلاف القبل...  
 فقالت له بعد إذ لم تستطع أن تذوده:

— هذا جميل! ولكن لنفرض أن السينور نيرونى فاجأك  
 الآن، فإذا عساك أن تفعل؟ وأناق من سكرة حبه على الاسم  
 الخفيف فقال: «سينور نيرونى؟!»

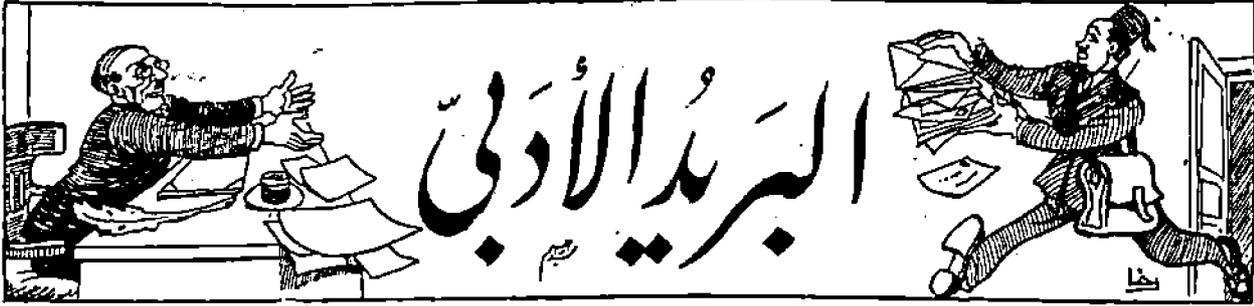
— أجل... سينور نيرونى؟ أرسله إلى الأسقف وزوجه  
 السيدة پرودى؟»

— ولم تسألين؟  
 — لم أسأل؟ إنى أحببت أن تعلم أن هناك رجلاً لا تذكره  
 يدعى السينور نيرونى؟!

— لا... بل أنت تنسين قلبك حين تذكرين السينور  
 زوجك! إنك لا تحتفظين له بأثارة من الحب لأنه غير خليق بك  
 — القلب مرة أخرى؟! مالك كيف تتكلم أيها الأب؟  
 تريد أن تقول إن المرأة التي لانضمراً حباً لزوجها لها الحق في أن  
 تمنونه؟ أو على الأقل لها ألا تخلص له! والذي يقول هذا كبير  
 أساقفة الكنيسة الانجليزية

واشتعلت الجحيم في رأس كبير الأساقفة، وعجب كيف تذله  
 امرأة مقعدة كالسينورة نيرونى، وتعنى لو استطاع فجعلها تسجد  
 بين قدميه تطلب حبه كما فعل هو، وتعنى كذلك لو انتزع حبه  
 من قلبه فقتذف به من حلق... ولكن شتان بين أن يتمنى المرء  
 وبين أن يقدر، فلقد سحقته السينورة لأنها عرفت من مآسى  
 الحياة ما لم يعرف القس، وبلت من تجاربيها ما لم يتسل... وذلك  
 أنه ما كاد يرفع عقيرته بالاحتجاج حتى غلبه هواه، وسجد مرة  
 أخرى تحت قدميه يستعطف كالتلميذ الدليل... لكنها وصلت  
 سخرتها به فقالت له:

— ولم لا تضحي حبك أيها الأب مادام زيفاً وبهتاناً!



### إلى صحف القطر الشمين

نشرت في عدد « الرسالة » الماضي على أثر معاملته من أن جريدة الكشوف البيروتية نشرت خطاباً ومقالاً زعمت أني أرسلتها إليها — كلمة موجزة كذبت فيها هذه الواقعة بطريق حاسم وقلت إن ما فعلته المجلة المذكورة إنما هو تزوير شائن والآن بعد أن اطلمت على بعض الصحف البيروتية التي نقلت المقال المزعوم أو علقت عليه (وذلك لأنني لم أستطع الحصول على عدد الكشوف الذي حدث فيه النشر المزور) عرفت أن الصحيفة المذكورة قد عمدت إلى مقال قديم كنت نشرته في « السياسة الأسبوعية » سنة ١٩٣١ واقتضبت منه عبارات مسخنها وزعمت أنها مقال أرسلته إليها، ونشرت إلى جانبه الخطاب الذي زعمت أنها تلقتة مني

وقد أرادت الجريدة المذكورة أن تلقى بذلك في روع قرائها أنني أؤيد الحملة الدينية المستمرة التي تشهرها على التفكير المصري والكتئاب المصريين، والتي لا تلقى هنا وهناك سوى ما تستحق من الإعراض والازدراء، وأرادت أن تدلل على ذلك ببعض فقرات اختلستها من مقالَي المذكور

فأقرر هنا أني كتبت هذا المقال منذ سبعة أعوام لتناسب حالة أدبية معينة لاحظت أعراضها يومئذ، ورأيت في تلك الأعراض بعض وجوه ضعف يجب إصلاحها وتداركها. والحركة الأدبية المصرية ليست معصومة، ولم يقل أحد إنها بلغت ذروة الكمال، بل هي ككل حركة فكرية واجتماعية قابلة للنقد والإصلاح؛ ولكن لما كانت الحركة الأدبية المصرية تقب بخطي الجبارة فإن هذه الآراء لا يمكن أن تعبر إلا عن الوقت والظروف التي قيلت فيها

أما أن تعدد جريدة الكشوف إلى اقتضاب بعض ما ورد في

هذا المقال ثم تزعم أني أرسلته إليها، بل وتذهب في الاقتراء إلى أبعد من ذلك فتقرن المقال المزعوم بخطاب تدعى أني أرسلته إليها فأقل ما يقال في ذلك إنه عمل إجراي ذيء

ما كان لثلي أن ينزل إلى مثل ذلك فياليء وريقة عرفت بحقدتها المضطرم على الثقافة المصرية، وعلى النيل من ثقافة بلاده التي يعتز بها، والتي يتشرف هو بأن يشترك في حمل لوائها الخفاق ولقد رأيت في بعض صحف القطر الشقيق بعض مقالات وتعليقات على هذه الدسيمة الأدبية المثيرة، نشرت بلاريب بحسن نية، ولما كان من التمنذر على أن أكتب إليها جميعاً فإني أكتفي بأن أوجه إليها هذه الكلمة على صفحات الرسالة لتقف منها على الحقيقة ولتذيعها نصرة للحق والانصاف

أما الصحيفة القاظة المزورة فأمرها إلى القانون يحاسبها، وإلى الرأي العام يصدر حكمه عليها محمد عبد الله عثمان

### ذكرى وفاة أبي الفرج الأصبهاني

في انتهاء عامنا المهجري هذا يكون قد مضى ألف سنة على وفاة المؤلف العظيم أبي الفرج الأصبهاني على بن الحسين الأموي الروائي الذي يعد من أعظم المؤرخين والبحاثين، فقد بلغ عدد ما عرف من مؤلفاته خمسة وثمانين مؤلفاً من أمثال المؤلفات العربية في التاريخ والاجتماع والأدب، وأشهرها « الأغاني »؛ وقد أجمع المؤرخون على أنه لم يصنف مثله في هذا الباب، ولولاه لضع شعر الجاهلية والاسلام؛ وقد ألفه في مدة خمسين سنة ولم يزل هذا الكتاب المطبوع في ٢١ مجلداً منذ ألف سنة حتى اليوم ينبوعاً ساقى المورد، ومنهلا عذب الارتشاف، يرد الأدياء والمتأدبون وهم ظاء، ويصدرون عنه وهم رواء. فيكم من أديب نابغ قد تخرج عليه، وعلم من أعلام البيان العربي كان يرجع ييامه إليه، وشاعر

### مذكراتي في نصف قرن

منذ أيام قلائل صدر القسم الثالث والأخير من كتاب «مذكراتي في نصف قرن» بقلم الأستاذ الجليل أحمد شفيق باشا وقد استطاع قراء القسمين الأولين من هذه المذكرات النفيسة أن يقدروا اليد الجليلة التي أسداها الأستاذ شفيق باشا لتاريخ مصر الحديث بتدوين هذه المذكرات ثم باخراجها؛ وكان تدوينها في الواقع عملاً دقيقاً شاقاً شغل حياة مدونها، بيد أنها كانت سلوى حياته لا يفغل عنها، ولا ينسى متابعتها قط مهما ادلهمت من حوله الخطوب والحوادث؛ وكان فوق ذلك أجدر الناس بتدوينها، وأقدرهم على الاستفادة من عبر الحوادث وفهم أسرارها وتطوراتها؛ ذلك أنه كان مدى ثلث قرن شخصية بارزة في القصر الخديوي، بل كان مدى أعوام طويلة أعظم رجال البطانة الخديوية نفوذاً وأشدّ تأثيراً في توجيه الخديو؛ وكان بحكم منصبه ومراتبه لسير الأمور من أكثر الناس اطلاعاً على سير الحوادث، وعلى أسرار الوثائق، وأكثرهم فهماً للرجال المعمومين. فإقدمه إلينا في مذكراته هو أصح وأدق ما يستطيع مؤرخ معاصر أن يقدمه عن حوادث عصره.

ويشمل القسم الثالث من هذه المذكرات النفيسة مرحلة الحرب الكبرى وما بعدها، من سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٢٣؛ ونحن نعرف أن الخديو عباس حلمي كان منذ صيف ١٩١٤ متنبئاً في استانبول، وأن الخلاف وقع بينه وبين الإنكليز منذ نشوب الحرب الكبرى، فلم يعد بعد ذلك إلى مصر، وأنه لعب أثناء الحرب أدواراً خطيرة، واشترك في كثير من مشاريع السياسة الألمانية التركية نحو مصر. وقد كان المؤلف خلال هذه الأعوام اللطمة إلى جانب مولاه في المنفى مع نفر من كرام المصريين، يتبع عن كثب تطورات الحوادث ويقبدها. وهو يقص علينا في مذكراته ناحية من المسألة لم تكن مصر خلال الحرب تدرى شيئاً عنها؛ ومن الصعب أن نتبع محتويات الكتاب في هذا المقام الضيق، ولكننا نستطيع أن نقول باختصار إنها كل حياة الخديو السابق وكل حركاته وأعماله منذ سنة ١٩١٥ إلى سنة ١٩٢٠ وهي صفحة غريبة مشجبة من تاريخ مصر السري لا نعرف عنها سوى القليل؛ ومن حولها معلومات وتفاصيل كثيرة عن المصريين

فخل زك شاعريته ونمت موهبته بالرواية عنه والأخذ منه... وقد عن لي بهذه المناسبة - مناسبة مرور ألف عام على وفاته - أن أقترح على علماء العراق وأدبائه وأهل الفن فيه إقامة مهرجان أتي في بغداد موطن المؤلف التي كتب فيها جميع مؤلفاته وتوفي فيها بعد أن خلد اسمها إلى أبد الدهر. ولا أظن أن من الأقطار العربية من يتأخر عن الاشتراك في هذا الاحتفال وتمديد مناقب رجل جمع بين علوم الدين والدنيا في الاسلام

عباس هلوارة الصالح

(كربلا)

### وفاة عمره هضرى عظيم

نمت الينا أبناء الهند الأخيرة العلامة الهندى الكبير السير جاجايس شندرا بوز، أعظم علماء النبات المعاصرين، توفى في نحو الثمانين من عمره؛ وكان مولده بالهند في سنة ١٨٥٨، ودرس في كلكتوتا وكامبريدج؛ وبدأ حياته أستاذاً في جامعة كلكتوتا، وتخصص في علم النبات وأبدى فيه براعة خاصة. ثم انقطع بعد ذلك لدراسة حياة النبات، ووفقاً أثناء تجاربه إلى عدة اكتشافات باهرة لفتت إليه أنظار العالم، وكان أهمها ما أثبتته بالتجارب العملية وهو أن النبات كأى إنسان يشعر ويحيا، وله كالإنسان نبض يمكن حسه وإحصاؤه؛ ولإثبات نظريته الجديدة اخترع السير بوز آلة سماها «كرسكوجراف» تسجل حياة النبات ونبضه، وتكبرها بنسبة مائة ألف مرة؛ وبهذا الآلة يمكن مشاهدة نمو النبات وتأثره بالعوامل الجوية، وبالناصر النورية التي يلقح بها كالأسمدة أو السموم أو غيرها. وقد عرض السير بوز تجاربه في أنحاء العالم فحازت إعجاب العلماء وتقديرهم جميعاً. ومما يذكر أنه قدم إلى القاهرة في شتاء سنة ١٩٢٧، وعرض تجاربه أمام جمهور من العلماء والشاهدين فأدهشهم جميعاً بما عرضه من حركات النبات ودلائل حسه ونبضه. وللسير بوز عدة آلات دقيقة أخرى اخترعها لتسجيل الحياة النباتية، وله عدة كتب تعتبر في هذا الباب مرجعاً وحجة، منها:

Plant Response (جواب النبات)، Erritability of Plants (تهييج النبات)، Life Movements in Plants (حركات الحياة في النبات)، The Nervous Mechanism of Plants (الجهاز المصنبي للنبات) وغيرها؛ وهو يعتبر عميد العلوم النباتية في العصر الحديث

استوكهلم دهشة في بعض دول الأدب الفرنسي إذ كانت تتوقع أن يكون الفائز بها هو الشاعر الكبير بول-فاليري ، ولكنها اغتبطت على أية حال لأن الفائز بها فرنسي

### جائزة نوبل للسلام

وعلى ذكر جوائز نوبل أيضاً نقول إن الذي فاز بجائزة نوبل للسلام هو السياسي الانكليزي الكبير اللورد روبرت سسل ، وذلك من أجل جهوده في سبيل قضية السلم العالمي . وقد درس اللورد سسل في جامعتي إيثون وكسفورد ، وخاض حياة سياسية باهرة ، وانتخب عضواً في مجلس العموم منذ سنة ١٩٠٤ ، وتقلت في المناصب الكبيرة حتى غدا في سنة ١٩١٨ وزيراً للخارجية . وقد لعب دوراً كبيراً في مؤتمر الصلح وإعداد دستور عصبة الأمم ؛ ومثل انكلترا في جلساتها مراراً ثم ناب عن انكلترا في لجنة السلاح ، وكان له في أعمالها مواقف نبيلة دلت على تحمسه في مناصرة قضية السلم . واللورد سسل من أعظم أنصار عصبة الأمم ومبدأ السلامة الاجماعية . وقد استقال من جميع المناصب الحكومية ليتفرغ لخدمة قضية السلم ، وله في ذلك مواقف وخطب رنانة ؛ وله كتاب قيم عنوانه « سبيل السلام » The Way of Peace ضمنه خطبه وأحدثه السلمية ، وكلها تدل على تمكنه من موضوعه . وهو في الوقت نفسه من أشد خصوم النظم القاشستية ، وله في شأنها سخانات خطابية وكتيبات شديدة ، وهو اليوم في الثالثة والسبعين من عمره ، ولكنه لا يزال يعمل لخدمة السلام بهمة الشباب

### مواطن الجوار قبل التاريخ

عثر النقبون في سفالوف في جنوب السويد على عظام قديمة ظهر من فحصها أنها عظام الجوار الوحشي ، وأنها ترجع إلى نحو عشرين ألف سنة . ويرى العلماء الرسمىون الذين فحصوها أنها بلا ريب من بقايا الجوار القديم المنقرض ، وقد كانت هذه المسألة مثار خلاف بين العلماء ، فجاء هذا الاكتشاف مؤيداً لأقوال القائلين بأن الجوار كان ضمن الحيوانات التي تميز في هذه المناطق منذ عصر ما قبل التاريخ

الذين اشتركوا فيها أو اتصلوا بها ، ومنهم كثير من الزعماء اللاحقين ؛ ويقرن المؤلف ذلك بتفصيل أعماله وحياته وصلاته مع الخديو وغيره حتى عودته إلى الوطن من المنفى في سنة ١٩٢٣

ونحن نهني الشيخ الوقور أحمد شفيق باشا بتوفيقه في إتمام ذلك العمل الجليل الذي استغرق أعواماً كثيرة من حياته واقتضى منه جهوداً عظيمة تستحق تقدير مواطنيه وتقدير التاريخ ؛ أمد الله في حياته الحافلة النافعة

### الأدب الفرنسي وجائزة نوبل

تحدثت الصحف الفرنسية لمناسبة فوز الكاتب الفرنسي روجيه مارتان دوجار بجائزة نوبل للاداب عن الكتاب الفرنسيين الذين ظفروا قبله بهذا الشرف ، فذكرت أنهم قلائل جداً بالنسبة إلى من طمردوا بجوائز نوبل من الأمم الأخرى ، وهم لا يتجاوزون خمسة : أولهم سولي برودوم ، وقد حصل عليها في سنة ١٩٠١ ؛ والثاني الشاعر البروفنسي مسترال ، وقد حصل عليها في سنة ١٩٠٤ ؛ والثالث رومان رولان ، وقد حصل عليها سنة ١٩١٦ ؛ والرابع أناتول فرانس ، وقد حصل عليها سنة ١٩٢١ ، والخامس الفيلسوف هنري برجسون ، وقد حصل عليها سنة ١٩٢٨ ؛ ومنذ عشرة أعوام لم يظفر كاتب فرنسي بجائزة نوبل ، في حين أن الآداب الانكليزية أو الألمانية أو الإيطالية لا يكاد يمضي عام أو اثنان حتى تظفر إحداها بهذا الشرف

ولكن الصحف الفرنسية ترى من جهة أخرى أن الآداب الفرنسية كانت موقعة من الناحية المعتبرة أعظم توفيق ، لأن أولئك الذين حصلوا على جوائز نوبل منذ قيامها إلى الآن هم خيرة ممثلها في مراحلها المختلفة ؛ وقد كان مارتان دوجار حقاً ممثلاً من نوع يستحق التقدير العالمي

والمعروف أن لجنة استوكهلم قد منحتة جائزة نوبل من أجل قصته الشهيرة « تيبول » Thibault التي تقف حوادنها عند صيف سنة ١٩١٤ ، والتي استوفقت بعد ذلك خلال الحرب الكبرى ؛ وهي القصة التي ظفر من أجلها أيضاً بجائزة مدينة باريس الكبرى التي رتبها بلدية باريس لأحسن مؤلف قصصي أو تاريخي ، ثم ترجمتها عقب ذلك جائزة نوبل . وقد أحدث حصوله على جائزة

## بريطانيا العظمى وفلسطين

صدر في إنجلترا منذ أسابيع هذا الكتاب عن فلسطين الشقيقة للكاتب الإنجليزي هربرت سيد بوتهام . وقد تصفحناه فوجدناه كتاباً مفرصاً أغلب الظن أنه طبع بأموال يهودية ليشر بالدعوة لليهود في سائر أنحاء العالم على العموم وفي إنجلترا وبين أنصار حزب المحافظين على الخصوص ... فلقد سرد تاريخاً عملاً مشوهاً لفلسطين منذ أن فتحها محمد على الكبير إلى اليوم واعتبر هذا الفتح مبدأ لحركة الدعوة لإنشاء الوطن القومي لليهود الذي لم يتحقق إلا في السنوات الأخيرة ، وقد اعتبر اليهود سفراء المدينة الغربية إلى الشرق ، وتبجح فني على العرب قلة عرفانهم بهذا الجيل الذي أسدته إليهم بريطانيا إذ سخرت لهم الذهب اليهودي والدكاء اليهودي لينها بهم ، كأن العرب كانوا قد نسوا مدينتهم ومجدهم وافتقروا إلى السحت لآحياء ماضيهم النابر . ومما يثير عجب القارىء ويتمتضح أنه ينسى المؤلف على بريطانيا استخداها تلقاء العرب « الذين يعتبرون التأدب البريطاني جيناً والرحمة الإنجليزية ضعفاً فترد وقودهم إلى لندن ليلوا شروطهم كأنهم انتصروا على بريطانيا في معارك حرية ... » ولنا نعرف أن بريطانيا قد استخذت يوماً في فلسطين فيما يتعلق بالجانب العربي ، اللهم إلا أن يعتبر المؤلف ضرب السكان بالنار ونسف المدن بالديناميت استخداً . ولنا نعرف أيضاً ماذا كان من تكران العرب لجيل بريطانيا ؟ أفن هذا التكران وقوف العرب صفناً بجانب الإنجليز في الحرب الكبرى ضد إخوانهم المسلمين ؟ أم من هذا التكران تمسكهم ببلادهم وافتداؤهم لها بدمائهم ؟ ما كان أجمل أن يذكر المؤلف كيف ساند العرب بريطانيا في الشرق ، ولو لم يفعلوا لتغير مجرى التاريخ ، وتغير نمباً لذلك وجه الأرض ...

وبعد ، فليقرأ الفلسطينيون هذا الكتاب ولينظروا في وقاياه ، فقد عرض بالسوء لرجالهم ، وجرح بالباطل زعماءهم وهم برد مزاعمه أولى

## كتاب

## الإمام نجر الدين الرازي

في الفرق الدينية عند المسلمين وغير المسلمين  
كتاب على اختصاره جليل الفائدة . لم يسبق طبعه  
وروجع على المخطوطات الموجودة في مكاتب مصر وأوربة  
وسدده

الأستاذ الكبير الشيخ مصطفى بك عبد الرازي  
يبحث في الصوفية ، والفرق الإسلامية

## مسرحيات

توفيق الحكيم  
مجلدان ٦٠٠ صفحة

ثمنهما مماً ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد

## مؤلفات

الأستاذ عباس محمود العقاد

- |   |                           |
|---|---------------------------|
| ٦ | شعراء مصر في الجيل الماضي |
| ٨ | عابر سبيل                 |
| ٨ | في عالم السدود والقيود    |

## مؤلفات

الأستاذ اسماعيل مظهر

- |    |                               |
|----|-------------------------------|
| ١٥ | فلسفة اللذة والألم            |
| ٦  | مصر في قيصر الاسكندر المقدوني |
| ٥  | الحب الأول كايوباترة          |

تطلب هذه الكتب من

مكتبة النهضة المصرية

بشارع الدباغ رقم ١٥ بمصر تليفون ٥١٣٩٤